الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر–الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

مذكرة بعنوان:

العالم الآخر في ثقافة مجتمعي مصر القديمة و بلاد الرافدين " 3200 ق م - 525 ق م "

(دراسة مقارنة)

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر أكاديمي في شعبة العلوم الإنسانية

تخصص: تاريخ الحضارات القديمة

إعداد الطالبتين:

- أم الخير بن كحلة
- ليلى العمودي

إشراف الأستاذ:

د. التجاني العمودي

نوقشت المذكرة علنا يوم: 2024/06/09

أمام اللجنة المكونة من الأساتذة:

اللجنة	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
عائشة سعدان	أستاذة محاضرة/ ب	جامعة الشهيد حمه لخضر–الوادي	رئيسا
التجاني العمودي	أستاذ محاضر/ أ	جامعة الشهيد حمه لخضر–الوادي	مشرفا ومقررا
عبد الحق بالنور	أستاذ محاضر/ أ	جامعة الشهيد حمه لخضر–الوادي	مناقشا

السنة الجامعية: 1444هـ/1445 هـ / 2023 / 2024

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يرفع الله الذين امنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير ﴾

الآية -11-من سورة المجادلة.

بسم الله الرحمان الرحيم

﴿ رَبِي اْشَرْحْ لِي صَدْرِي ويَسِرْ لِي أَمْرِي واحْلُل عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُ قَوْلِي ﴾

الآيات: 25-27 من سورة طه

شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء

والمرسلين سيدنا محمد وعلى اله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

وبعد :

نشكر الله سبحانه وتعالى على فضله حيث أتاح لنا هذا الإنجاز وأمدنا بالصبر والعزم لإتمام هذا العمل، فله الحمد أولا وآخرا.

ثم نشكر أولئك الأخيار الذين أمدوا لنا يد العون والمساعدة ولو بكلمة طيبة .

نتقدم بجزيل الشكر والتقدير للأستاذ الفاضل العمودي التجاني لتفضله بالإشراف على هذا البحث، وعلى سعة صدره وحرصه على أن يكون هذا العمل في أتم صورة لا يشوبه نقص، نسأله الله أن يوافيه جهده الذي بذله من أجلنا ويجعله في ميزان حسناته.

كما لا يسعنا أن نعبر عن شكرنا لأولئك الذين لم يبخلوا علينا ولو بالقليل مما يعرفون وزودونا بما يلزمنا من المعلومات والمعارف فلهم جزيل الشكر من أعماق قلوبنا.

أم الخير، ليلى

الإهداء

إلى من ساندونا وآمنوا بقدرتنا في تحقيق ما سعينا إليه ...

إلى من وقف بجانبنا خطوه بخطوه....

نهدي ثمره جهدنا.....

أم الخير، ليلى

الملخص بالعربية:

تعد مفاهيم الحياة والموت والآخرة من أهم المعتقدات التي شغلت اهتمام الحضارات القديمة خاصة مصر القديمة وبلاد الرافدين، فقد برزت في هاتين الحضارتين نظم دينية ومعتقدات حول العالم الآخر، تعبر عن رؤيتهما للوجود الإنساني، وما بعد الموت. فجاء موضوعنا تحت عنوان : العالم الآخر في ثقافة مجتمعي مصر القديمة وبلاد الرافدين "دراسة مقارنة" والهدف من ذلك هو دراسة هذه المفاهيم في سياقها الثقافي والتاريخي.

ويعتبر هذا النوع من الدراسات أداة قيمة لفهم هاتين الحضارتين العريقتين بشكل أفضل، وكذلك لفهم التطور الديني والثقافي لهما، ناهيك عمّا تقدمه الدراسة المقارنة من معلومات قيمة حول معتقدات العالم الآخر وكيف كان لها دورا فاعلا في هذا الصرح الحضاري وإلى أي حد اتسمت هذه المفاهيم بالتوافق والتباين.

الكلمات المفتاحية:

العالم الآخر، ثقافة المجتمع، مصر القديمة، بلاد الرافدين، الدراسة المقارنة

Summary:

The concepts of life, death, and the afterlife are among the most important beliefs that have occupied the attention of ancient civilizations, especially Ancient Egypt and Mesopotamia. These civilizations have developed religious systems and beliefs about the afterworld that reflect their views on human existence and what lies beyond death. Our topic is titled "The Afterworld in the Culture of Ancient Egypt and Mesopotamia: A Comparative Study," and the aim is to study these concepts in their cultural and historical context.

This type of study serves as a valuable tool for better understanding these ancient civilizations and their religious and cultural developments. Furthermore, comparative studies provide valuable insights into the beliefs about the afterworld and their active role in shaping these remarkable civilizations, as well as the extent to which these concepts exhibit similarities and differences.

Keywords:

Afterworld, societal culture, Ancient Egypt, Mesopotamia, comparative study.

مقدّمة

إن أقصى مرحلة عاشها الإنسان على وجه المعمورة هي فتره الانتقال إلى طور الحضارة فقد قضى الشطر الأعظم من تاريخ إنسانيته في الحياة البدائية وقد صار هذا الانتقال بسكان بلاد الرافدين ومصر القديمة من عصور ما قبل التاريخ في الألف الرابعة قبل الميلاد إلى طور الحضارة والمدينة حيث نشأت أولى المدن ونظام الحكم والكتابة والتدوين والشـــرائع المدونة والفنون والآداب في المقابل اعتنت الحضـــارتين بالجانب الروحي و الديني وتنمية الفكر العقائدي واشـتغلت بفكرة موت الإنسـان حيث أثارت هذه الظاهرة المحيرة انتباهه وأفادته إلى محاولة انجاز شـعائر معينة لتجاوز تلك الظاهرة المربكة المحيرة والرغبة في معرفة مصير الإنسان بعد انفصال الروح عن الجسد وهل هناك حياة بعد هذا المصـير المحتوم الذي حرمه أبدية الحياة فاهتم بالطقوس وأقام الشـعائر وبنى صـروحا جنائزية تعبر عن عظمة الموت ورهبته بالنسبة لفكر الإنسـان في تلك الحضـارتين الضـاربتين في جذور التاريخ وهو موضـوع الدراسـة خاصة و المدرجة تحت عنوان العالم الأخر في ثقافة مجتمعي مصر القديمة وبلاد الرافدين.

✓ الإطار الزماني والمكاني:

من نهاية الألف الرابعة قبل الميلاد إلى غاية منتصف الألف الأولى قبل الميلاد حيث يشير التاريخ الأول إلى ظهور الكتابة والتدوين والتكوين الحضاري، أما التاريخ الثاني فيدل على الغزو الفارسي للحضارة المصرية ونهاية العهد البابلي.

أما عن الإطار المكاني فتتمثل الدراسة في كل من مصر القديمة وبلاد الرافدين.

✓ أسباب اختيار الموضوع

يعود سـبب اختيارنا لهذا الموضـوع إلى الرغبة في دراسـة العالم الآخر في الفكر المصـري القديم والرافدي وما مثله في الميثولوجيه الدينية والثقافية لكلا الحضارتين ومعرفه أوجه التشابه والاختلاف لكليهما.

✓ إشكالية الدراسة:

إن مفاهيم الحياة والموت والآخرة والبعث من المعتقدات التي شـغلت اهتمام مجتمع الحضـارات القديمة بداية بسـكان مصـر القديمة وبلاد الرافدين فقد أظهرت هاتين الحضـارتين نظم دينيه ومعتقدات حول العالم الأخر تعبر عن رؤيتها للوجود الإنساني وما بعد موته لذا نتساءل:

-إلى أي حد بلغت تصـــورات العالم الآخر في ثقافة مجتمعي مصـــر القديمة وبلاد الرافدين بالتوافق والتباين؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية جملة من التساؤلات:

-كيف كانت البدايات الأولى لجدليه الموت والحياة؟

- ما هو العالم الأخر في ثقافة مجتمعي مصر القديمة وبلاد الرافدين؟

- فيما تجلت أوجه تشابه والاختلاف في ثقافة فكر العالم الأخر للحضارتين؟

وما هي العناصر المتداخلة بينهما؟

✓ المنهج المتبع

خلال دراستنا للموضوع اتبعنا أكثر من منهج واحد نظرا لتداخل الدراسة بين وصف وسرد في تتبع الأحداث التاريخية فاعتمدنا المنهج التاريخي لتتبع الروايات والأساطير أما التحليل لفهم النصوص قيد الدراسة إضافة للمنهج المقارن للوقوف عند أوجه التشابه وأوجه الاختلاف للعالم الآخر لكلا الحضارتين.

ومن أهم المصادر التي اعتمدنا عليها في هده الدراسة النصوص الدينية ككتاب الموتى والخروج في النهار المترجمين على التوالي من طرف ووالس بيدج وشريف الصيفي إضافة الى ملحمة جلجامش ترجمة طه باقر إضافة الى مراجع أخرى أهمها عقائد ما بعد الموت لنائل حنون وكتاب الموت والعالم الأخر في مصر القديمة ليان اسمان.

✓ خطة البحث

اعتمدنا في دراستنا لهذا الموضوع على أربعه فصول فصل تمهيدي تناولنا فيه جدليه الموت والحياة لدى الإنسان البدائي والإطار الجغرافي والتاريخي لكلا الحضارتين.

الفصل الأول والثاني والمدرج تحت عنوان العالم الأخر في ثقافة المجتمع الرافدي والعالم الأخر في ثقافة مجتمع مصر القديمة وبعناوين جزئيه للمفهوم والمقومات وأهم النصوص التي تتكلم عن العالم الآخر، وأثرها في ثقافة كلا المجتمعين

أما بالنسبة للفصل الأخير فتطرقنا فيه إلى المقارنة من خلال ما روي في كتاب الموتى وملحمة جلجامش من أوجه التشابه والاختلاف، كما أوردنا في الختام ما توصلنا إليه من تأثير الثقافتين على المجتمعين قيد الدراسة ضمن الخاتمة وألحقنا الدراسة بمجموعه من الملاحق تتضمن أشكال لإثراء الدراسة.

✓ أهمية الموضوع

- فهم السلوكيات والممارسات الدينية والجنائزية التي كانت سائدة في تلك الحضارات
- تتبع تطور الفكر الديني عبر الزمن وكيف تغيرت المعتقدات مع تغير الظروف الاجتماعية

- دارســـه معتقدات العالم الأخر في كل من مصـــر القديمة وبلاد الرافدين ومعرفه ثقافة هاتين الحضـــارتين ونظرتهما للحياة والموت وعلاقتهما بالآلهة وكيف كان لها دور فاعل.
- وبشكل عام تعد هذه الدراسة أداة قيمه لفهم هاتين الحضارتين بشكل أفضل وكذلك لفهم التطور الديني والثقافي.

✓ صعوبات الدراسة

لأي دراسة صعاب وعوائق تعترض الدارس في احتواء موضوعة يحاول تيسيرها للوصول إلى مبتغاة ومن بينها صعوبة فهم وتحليل الأساطير وتداخل المعطيات.

الفصل التمهيدي:

السياق التاريخي للعالم الآخر في مصر القديمة وبلاد الرافدين

المبحث الأول: جدلية الموت والحياة لدى الإنسان قديما

مثل الموت بالنسبة للإنسان عالما غامضا و مجهولا فتأثر به في مجالين الأول عقلي حيث سعى لفهم هذه الظاهرة وتغيرها منذ أن امتلك القدرة على التأمل والإدراك الواعي لما يحيط به، والثاني عملي يتمثل في تلك الممارسات والأعمال التي يقوم بها عقب حدوث الظاهرة بدءا من التخلص من الجثة وصولا إلى أداء الطقوس والشعائر الخاصة بالموت، ومما لا شك فيه أن هذه الممارسات العملية لا تتجسد إلا بما يمليه الجانب العقلي وعليه فإن هذه الممارسات تصبح مختلفة بين المجتمعات مما يسمح لنا بالاطلاع على العقائد الدينية التي مارستها المجتمعات البشرية عن الموت .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن ظاهرة الموت قد أخذت حيزا كبيرا من تفكير الإنسان تعود ربما إلى أزمنة سحيقة حتى قبل ظهور الإنسان العاقل حيث أثارت انتباهه و جعلته يقوم بشعائر معينة في سبيل تخطى هذه الظاهرة المربكة والمحيرة، ومن أهم المواقع التي قدمت لنا دليلا واضحا على ممارسة إنسان " النياندرتال[*] "في دفن الموتى، الموقع المعروف بإسم"شابل أوسنت"، (**la chapelle– aux–saints**)في فرنسا أين عثر على قبر يبعد ثلاث أمتار عن الكهف الذي سكنه ذلك الإنسان وقد كان يحتوي على هيكل لإنسان نياندرتال ذكر في منتصف العمر ممدد على ظهره، رأسه باتجاه الغرب محاطا بالصخر وذراعه اليمنى مرفوعة إلى الأعلى ومثنية، مع وجود لكسر عظام بقرة فوق الرأس، أما الجسد فأحيط بأحجار الصوان والكوارتز. و في موقع "فيراسي **la ferrassie**" في الدوردون**Dordogne**)) وجدت أربعة هياكل عظيمة لإنسان النياندرتال مدفونة في خندق صخري غير عميق لرجل وامرأة وآخران لطفلان وعثر معهم أيضا كسر عظمية لثور وأدوات مستيرية وغزال الرنة وحصان، والتي فسرت على أنها بقايا لوليمة جنائزية أما عن طريقة الدفن فجثة الرجل دفنت بطريقة مجزأة حيث فصل الرأس عن الجسد بعد الموت وأحيط لوحده بألواح حجرية، أما جثة المرأة فدفنت بطريقة مطوية ويداها مضمومتان إلى صدرها و رجليها مضغوطتان نحو الحوض ويرجح أن تكون هذه الوضعية كانت نتيجة لربط الجثة قبل أن تتصلب، وقد كانت هذه الوضعية محل جدل بين الباحثين حيث رأي فسر طريقة طوي تهدف إلى منع عودة الميت لكي لا يقلق الأحياء و يسبب لهم الضرر.[1]

[*] سمي بهذا الاسم نسبة وادي نياندر في ألماني أين عثر على الحفريات أول مرة، ينتمي إلى مجموعة البشر القدامى الذين ظهروا منذ 200 ألف عام (عبد الرحمان الحبيب،إنسان نياندرتال، اليوم السابع،2022).

[1] نائل حنون، عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد واد الرافدين القديمة، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ط2 ، 1986 ، ص ص 28. 29.

أما الرأي الأخر ففسر هذه الوضعية على أنها محاكاة لوضعية الجنين وهو رمز التفاؤل ودلالة على أن القبر سوف يشهد ولادة أخرى للمتوفى، إلا أن هذا التفسير استبعد على أساس أن إنسان التياندرتال لم يكن على معرفة كافية بالتشريح ليصل بهم التصور إلى هذا الحد.

كما عثر في الاتحاد السوفيتي على هيكل لطفل في سيبيريا أحيط برأسه بستة قرون الماعز الجبلي مشكلا دائرة، و هنا إذا ما سلمنا أن الإنسان النياندرتالي كان بعيدا على أن يفكر بهذا الشكل الذي يغلب عليه الإدراك الواعي فإن هذا يفسر بالتأثر بنمط عيشه داخل الكهوف حيث يكون المكان صغير وصخري يصعب إلى حد ما حفره لهذا كانت القبور صغيرة وغير عميقة وقريبة لتجمعهم فكانت طريقة الدفن بالوضع الجنيني إلا أن هذا لا ينفي أن عملية الدفن كانت تتم بعناية فائقة وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن هناك شكل من الاعتقاد بالروح حيث دلت التنقيبات التي تمت على مستوى كهف (كرابينا) (**crapina**)في كرواتيا بيوغسلافيا على وجود أكثر من عشرة جماجم محروقة مع بقايا لحيوانات متوحشة تم أكل أدمغتها و لربما هذا كان يدل على اعتقاد الإنسان التياندرتالي بأن الرأس هو مصدر القدرات وبأكله تنتقل هذه القدرات من المتوفى إلى آكله.

ومن الجدير بالذكر أيضا أن مواقع الدفن لدي النياندرتاليين كانت قريبة من المواقد وقد فسر الباحثون هذا على أن هناك أمل في أن الدفء سوف يعيد خاصية ما مفقودة لدى الميت وكنتيجة لهذا لاحظوا أن هناك علاقة بين الدفء والحياة.

أما عن التسليم بفكرة الموت لدى الإنسان القديم فيذكر الأستاذ (برا ندون **S.G.F. Brandon**) أن موت الفرد مقتولا لم يكن معضلة تستدعي التأمل أو التفكير و يعد أمرا طبيعيا لأنه يحدث مراراً وتكرار بسبب الحيوانات المتوحشة، أما تلك الموت التي تحدث فجأة خاصة وإن كان المتوفى سليم البنية هنا يتجه تفكير هذا الإنسان في ضل إمكانياته العقلية المحدودة إلى أن يذهب بالاعتقاد نحو قوى خفية، مما خلق ذاك الشعور بالخوف الرهيب من الموت والذي كان وليد ذاك الخراب الذي يحدثه لدى هذا الكائن الضعيف ، وكنتيجة حتمية لهذه الصدمة ظهر لأول مرة بوادر الفكر المجرد عنده.[1]

[1] نائل حنون، المرجع السابق، ص ص 30،33.

وعلى العموم فإنه في هذه المرحلة رغم كل تلك العناية بعملية الدفن لم يكن هناك اعتقاد بانقطاع الحياة بعد الموت إلا أن الإنسان القديم ظل عاجزا على إدراك نوعية العالم الآخر بعد الموت.

إلا أنه خلال العصر الحجري القديم الأعلى ظهرت الدلائل الأولى على أن الإنسان أصبح يؤمن بحياة أخرى بعد الموت وذلك من خلال ممارسات الدفن التي تعبر على أن الموت ما هو إلا عبور لحياة أخرى الأمر الذي نتج عنه طقوس دفن أكثر تعقيدا خاصة بعد ظهور إنسان كرومانيون [*](**cro-magnons**) حيث تم اكتشاف مجموعة مكونة من ثلاثمئة قطعة من المحار البحري مثقبة في قبور الموتى في أحد الملاجئ الصخرية لإيزيس (**Les Eyzies**) أما في موقع(لاكروت دي كافيلان**la crotte du cavillan**) فعثر على رجل من نوع كرومانيون ، دفن بوضع القرفصاء محاط بأكثر من مائتي قطعة محار حول رأسه ويعزى هذا ربما إلى خاصية المحار من خلال احتواءه لحياة جديدة أو كنوع من التعاويذ المستخدمة للحماية أو كمصدر للغذاء يستعين به الميت في حياته الآخرة.

كما تدل العديد من القبور التي تم اكتشافها في كريمالديو بافيلاند وكلاموران والتي وجدت فيها هياكل عظمية مطلية بصبغة حمراء، دلت على الاعتقاد باستمرارية الحياة بعد الموت وذلك لأن الصبغة الحمراء ترمز إلى الدم هذا الأخير الذي يرمز إلى الحياة. [1]

ومن خلال كل هذا نجد أن الموت كان أمرا مثيرا لتساؤلات كثيرة منذ أن امتلك الإنسان القدرة على التأمل والإدراك الواعي لما يحيط به، فأصبح بذلك الموت هو القاسم المشترك للفكر الإنساني بين الحضارات القديمة والمجتمعات الإنسانية وذلك لأنه أولا حقيقة مطلقة لا مناص منها وثانيا الغموض الذي يكتنفه باعتباره انتقالا للمجهول الذي لا يعرف عنه شيء.

فأعتبر بذلك حلقة في سلسلة الوجود الإنساني باعتباره عامل الوصول بين الحياة فوق الأرض والحياة بعد الموت، هذا المبدأ الذي أعتبر أساس المشكلة لدى الإنسان القديم جعلته يبحث عن حلول لمشكلة الفناء وإيجاد بديل روحي وسبيل وجداني للإستمرار والتواصل وبث بعض من الطمأنينة لمواجهة الموت المرعب وارتباكه تجاهه بدءا بالسحر فالأسطورة والدين وصولا إلى العلم. [2]

[*] هو سلالة بشرية حديثة، وتُعرف باسم الإنسان العاقل الأوروبي تشبه أجسامهم للإنسان المعاصر يتميزون بقدرتهم على استخدام اللغة والأدوات المعقدة .(http//www.good (read.com/ar/book/st

[1] نائل حنون، المرجع السابق، ص ص 34،35 .

[2] حمدية كاظم روضان، جدلية الموت والحياة في فنون الحضارات القديمة، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، ع18، 2016،ص 480.

المبحث الثاني: الإطار التاريخي والجغرافي لمصر القديمة:

قدمت الحضارة المصرية دورا هاما في الرقي الحضاري الإنساني حيث تعتبر أهم مراكز الإشعاع الفكري والتطور العقائدي، وغيرها من مجالات الإبداع الإنساني بدءا من فجر التاريخ، وكانت الحضارة المصرية بالموازاة مع حضارة بلاد الرافدين رافدا من روافد التطور الإنساني، كان لنهر النيل فيه دورا فاعلا لوقوع مصر خارج الحزام المطير إلى درجة أنه لولاه لكان للحضارة المصرية شأن آخر.

يعتبر نهر النيل من أطول أنهار العالم يخترق مصر طوليا قاسما إياها إلى جزئين بطول يقدر ب 6500 كلم من الجنوب إلى الشمال، أما شرقها وغربها فكان عبارة عن صحراء تتخللها بعض المساحات القابلة للزراعة وقد كان لهذه الصحراء دورا هاما في تأمين مصر من الهجمات الخارجية وتعزيز استقرارها، وعليه فإن مصر تتربع على مساحة قدرها حوالي مليون كلم^2 يمثل ما لا يزيد عن 4% الجزء الآهل بالسكان والباقي فهو تلك الصحراء و قد كان لذلك أثر في تطور الإنتاج الحضاري للإنسان وظهور المجتمعات المنظمة والتي تطورت سياسيا مما جعلها تدخل مرحلة العصور التاريخية مع نهاية الألف الرابعة ق م.[1]

وتبدأ مرحلة التكوين والتشكيل الحضاري السياسي للحضارة الفرعونية مع بداية عصر الأسرات حوالي 3150 ق.م والذي شمل الأسرتين الأولى والثانية والتي تسمى بالعصر الثيني نسبة إلى مدينة ثينا حيث تم في هذه الفترة السعي إلى توحيد مصر سياسيا بين الشمال والجنوب وتوطيد دعائم الأمن والنظام في كامل أنحاء مصر لتنتقل إلى مرحلة عهد الدولة القديمة "2780ق.م – 2230 ق.م"والتي تعد من بين أزهى عصور مصر وقد أطلق على هذه المرحلة بعصر بناة الأهرام كناية عن إنفرادها ببناء أهرامات فخمة والتي اعتبرت مفخرة الدولة القديمة ودليلا على ما وصلوا إليه من تقدم، شملت هذه المرحلة حكم الأسرة الثالثة حتى الأسرة السادسة لتدخل مصر مرحلة التقسيم من جديد أو اللامركزية والذي استمر من الأسرة السابعة إلى الأسرة الحادية عشر وقد سمي بعصر الإنتقال أو الثورة الاجتماعية عاشت خلالها مصر ركودا اقتصاديا ومطالب شعبية[2].

[1] علاء الدين عبد المحسن شاهين وآخرون، الموسوعة الثقافية التاريخية والأثرية والحضارية (الحضارة المصرية القديمة) ، مج1، دار الفكر العربي ،(د ب)،(د ت)،ص ص 3،5.

[2] كاهينة قبايلي، محاضرات في تاريخ الحضارات القديمة، لمدرسة العليا للأساتذة قسم التاريخ والجغرافيا ، بوزريعة ، (د ت)،ص ص15،24.

ومع دخول مصر مرحلة الدولة الوسطى"2133 ق.م- 1991 ق.م "، يبدأ عصر الوحدة من جديد وقد شمل الأسرة الحادية عشر والثانية عشر عرفت خلالها الحضارة المصرية الاستقرار وتحسن الوضع الاقتصادي والاجتماعي لتعود مصر مرة أخرى لمرحلة اللامركزية بسبب تنازع ملوك عهد الأسرتين الثالثة عشر والرابعة عشر أفضى إلى تسلسل الهكسوس لحكم مصر.

أما عن مرحلة الدولة الحديثة "1550 ق.م - 1072 ق.م"فيسجل على مصر في هذه المرحلة عظم قوتها وتوسعاتها فعرف هذا العهد بالعهد الإمبراطوري وقد شمل عصر الأسر الثامنة عشر، التاسعة عشر والعشرون

لتدخل بعدها مرحلة انتقالية ثالثة استمرت إلى غاية 525ق.م انتهت بغزو الإسكندر المقدوني.[1]

وقد كان للجغرافيا والبيئة والسطح ونهر النيل دورًا مهما في تبلور وبناء هذا الصرح الحضاري الضارب في عمق التاريخ والذي مثل الدين أحد جوانبه الأساسية، إن لم نقل انه محور الحضارة المصرية القديمة ، حيث شكل أساسا لنظامهم الاجتماعي والسياسي و الفني ، وقد تمحورت الممارسات الدينية حول عبادة العديد من الآلهة والتي مثلت قوه الطبيعة ومظاهر الحياة المختلفة، ولقد كان لكل إقليم آلهته الخاصة، وكان ينظر على أنها حارس الإقليم ، و من الآلهة من كانوا حماة الطوائف مثل الإله "بتاح" حامي الفنانين ، والآلهة"ماعت" راعية الوزراء والقضاة ،كما اعتقد المصري بأن من الآلهة ما هو مؤنث وما هو مذكر فدمجت الآلهة في أسر والتي أنجبت آلهة فأضحت بذلك ثالوثا.

ومن أهم هذه الآلهة:

التاسوع المقدس: أو تاسوع هليوبوليس، وهو مجموعة مكونة من تسعة آلهة رئيسية في الديانة المصرية ويعتبرون من أقدم أهم الآلهة في المعتقدات المصرية، لعبوا دورا محوريا في أساطير الخلق والصراع بين الخير والشر ولهم رمزية عميقة في الثقافة المصرية القديمة وتمثل في:

1- رع: إله الشمس وخالق العالم
2- جب: إله الأرض
3- نوت: ربة السماء
4- شو: إله الهواء
5- تفنوت: ربة الرطوبة والندى[2]

[1] كاهينة قبايلي، المرجع السابق، ص ص15،24.

[2] سيد القمني، رب الثورة أوزيريس وعقيدة الخلود في مصرالقديمة، مؤسسة الهنداوي، (ب د)،2020 ، ص ص 93،90.

ولا عجب في هذا فقد علقت قلوب المصـــريين وأخيلتهم بطبيعة بلادهم فبدأوا يرون في الشـــمس والقمر والأرض والسـماء والهواء والماء آلهة يرهبون جانبها ويقدسـونها وتصبح بذلك نظرية التكوين الكوني للوجود، ولاكتمال هذه النظرية لابد من وجود كائني تصـورهم مفكرو" أون" على شـكل أربعة من الآلهة البشـرية نتجت من تزاوج "جب ونوت" متمثلين في اوزيريس وأيزيس وست ونبت حب على التوالي:

1- رمزا للخصوبة وفيضان النيل والخير والزراعة

2- آلهة السحر والحكمة

3- إله الفوضى والظلام

4- إله الحب والجمال

وكانت مهمتهم الكبرى التي قدرت لهم هي تعمير الأرض بالبشرية[1]

كما عبد المصريون كل من:

بتاح: وهو أهم آلهة منف وقد قدس من طرف معظم المصريين

تحوت: تتمتع بصورة إنسان برأس أبو منجل، ويرجع إليه اختراع الكتابة، وهو أيضا إله الحكمة والمعرفة

أمون: إله مدينة طيبة وسـيد الهواء والخصـب تتمثل في حسـم بشـري برأس كبش دمج بالإله رع في الدولة الحديثة ليظهر في شكل "أمون رع"

أنوبيس: إله التحنيط وحارس الجبانة ومثله المصريون في شكل ابن أوى[2].

وإجمالا فإن الديانة الفرعونية سـيطرت على مصـر لأكثر من 3000 سـنة تميزت ببناء المعابد الضـخمة وتقديم القرابين لإرضاء الآلهة وكان للكهنة دور هام في الطقوس الدنية.

فتشكل بذلك الدين في مصر منظومة إيمانية ومعتقدات أثرت على كافة جوانب حياة المصريين القدماء من فنونهم، وطقوسهم، إلى عمارتهم ونظمهم الاجتماعية حيث شكل الاعتقاد بحياة الآخرة ركيزة أساسية فيها.

[1] سيد القمني، المرجع السابق، ص 93.

[2] كاهينة قبايلي، المرجع السابق، ص52.

المبحث الثالث: الإطار التاريخي والجغرافي لبلاد الرافدين:

إن المراجعة الفاحصة لكل دراسة يجب أن ترتبط بتاريخ وجغرافية إنسانية، توافق الفكرة كظاهرة العالم الاخر لحضارة بلاد الرافدين، كعنوان جزئي للدراسة.[1]

فحضـــارة بلاد الرافدين من أهم الحضـــارات في التاريخ، وقد قامت في الإقليم ما بين نهري دجلة والفرات وكانت أرض بلاد ما بين النهرين حصـــينة من العدوان من شـــتى جهاتها، فمن الجنوب كانت تحميها مياه الخليج العربي ومن الشـمال سـلسـلة جبال الأرمنية ومن الشـرق جبال زغاروس ومن الغرب أمداء البادية السـورية، وكانت سـومر تقع في جنوبي بلاد ما بين النهرين وإلى الشـمال منها وفي الشـطر الأوسـط من البلاد كانت تقع أكاد في الألفين الثاني و الأول قبل الميلاد إتحدت سومر وأكاد وتشكلت بابل إلى الشمال، من بابل قامت آشور وحسب المنظمين إستوطن إنسان بلاد ما بين النهرين منذ أربعين ألف سنة خلت.[2]

ففي زمن مابين القرن الثاني والرابع ق.م ظهر إســـتعمال المصـــطلح الجغرافي المعروف (بلاد ما بين النهرين)، في اليونان والرومان أي التسمية الإغريقية "ميزوبوتامية" [3].(Mesopotamia)

وكان يراد بها البقعة الممتدة ما بين منابع نهري دجلة والفرات، وامتدادها إلى الخليج العربي أي بلاد بابل وأشور القديمة.[4]

وأطلق على بلاد وادي الرافدين بعد ذلك تسـميات(كي-أين-جي) والتي تعني بلاد سـومر و(كي-أوري) وتعني بلاد أكاد.[5]

ونحن لا نعرف عن تاريخ هذه البلاد قبل الألف الرابع ق.م إلاّ قليلاً عند منتصـف الألف الرابعة ق.م ليأتي العبيديين أول تشـكيلة قنوات ري صـناعي وصـلت إلينا أخبارها في الثلث الأخير من الألف الرابعة ق.م، حلت ثقافة أورك هنا محل ثقافة عبيد، وكانوا السومريون هم من بني هذه الثقافة.[6]

---

[1] عبد القادر بوحوش، تاريخ الأديان، دار الضياء للنشر والتوزيع، الكويت، ط1،2014، ص 28.

[2] ا.سميغوليفكسي، تر حسان ميخائيل إسحاق، أسرار الديانات القديمة، دار علاء الدين،سوريا،ط1، 2013، ص28.

[3] طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة حضارة وادي النيل وبعض القديمة، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت، ص 25.

[4] عباس فاضل السعدي، العراق وبلاد الرافدين السكان الأوائل دراسة في التاريخ والجغرافيا، (ب ن)، (ب ت)، ص 11.

[5] قيس حاتم هاني الجنابي، تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1،2014، ص94.

[6] ا.سميغوليفكسي، المرجع السابق، ص 27.

قامت الحضارة السومرية على دلتا شط العرب منذ خمسة آلاف سنة، ومن أهم الحضارات التي عرفها التاريخ وكان الكشـــف عنها من أروع الأمور في فجر التاريخ وفي علم الآثار حيث ســـكن بلاد النهرين منذ فجر التاريخ قبائل من أصـول مختلفة، هاجرت إلى الإقليم الخصـيب الذي تكون من الأرسـاب الفيضـية لنهري دجلة والفرات، وكانت سومر أول القبائل المهاجرة للمنطقة خلال الألف الرابع ق.م.

أسس الشعب السومري على شط العرب منانا هنا أور-أوريدو-كيشنولارشا، وانتقلت الحضارة السومرية على طول مجرى الفرات ودجلة، فكانت الأسـاس للحضـارة ما بين النهرين، فأجرو مياهها في قنوات تخترق البلاد طولا وعرضا، فكان لهم نظام ري محكم، فكان الأساس الذي قامت عليه حضارتهم.[1]

[1]عبد القادر عياش، حضارة وادي الفرات مدن فراتية القسم السوري، الأهالي للطباعة والنشر،1989، ص 20.

الفصل الأول

العالم الآخر في ثقافة مجتمع مصر القديمة

المبحث الأول:مفهوم العالم الأخر في ثقافة مجتمع مصر القديمة

احتلت عقيدة البعث والخلود القسم الأكبر من العقيدة المصرية، حيث أن فكرة أصل الحياة شغلت تفكير الإنسان المصري منذ العصور الحجرية منطلقا في ذلك من محيطه الذي جعله يهتدي إلى ما سمي بتجدد الحياة أو بمعنى آخر أنه لا يمكن للموت أن يكون نهائيا شأنه في ذلك شأن النبات الذي تأتي عليه فترة يموت فيها ثم يعود للحياة مرة أخرى، وكذا الشمس التي تغيب لتعود وتشرق من جديد. [1]

من هنا آمن المصريون القدماء بالبعث والخلود حيث أن الإنسان سوف يحي بعد الموت، فوصفوا الموت على أنه مثل النقاهة بعد المرض وعليه فإن الموت في نظرهم هو عبارة عن خطوة أو بوابة يمر من خلالها المتوفى إلى مرحلة أخرى.[2]

أو بعبارة أخرى لم يعد الموت يبدو كنهاية بل كعتبة أو ممر يؤدي من الزمن الصغير على الأرض إلى الزمن الكبير في العالم الإلهي أو الوجود المسبق والوجود اللاحق هذا الأخير الذي يعتبر عالما آخر يتميز زمنه باللانهاية أو بالأبدية[3] .

عبر المصريون القدماء عن لفظ الآخرة أو العالم الآخر بمرادفات كان أكثرها شيوعا "ذات" أو "دوات" والذي يقصد به العالم السفلي كما استخدموا لفظين آخرين للدلالة على الخلود والسرمدية "جت"و"نحح" **deject – neheh**.

وفي نفس السياق بحثا عن مفهوم العالم الآخر في ثقافة مصر القديمة تجدر الإشارة أنه ومن منطلق الديانة المصرية فقد رأت الحكمة المصرية أن الوجود يستحيل أن يقصد به هذا الوجود الذي يتصف بالفناء وإنما الوجود ينقسم إلى عالمين، عالم مادي محسوس زائل طالت أو قصرت مدة بقاءه وعالم آخر شكل مواصفاته والإيمان به وبوجوده الوجه الآخر والأكثر قوة في الديانة المصرية القديمة[4].

---

[1] كاهينة قبايلي، المرجع السابق ، ص 65.

[2] رمضان عبده علي، حضارة مصر القديمة منذ أقدم العصور حتى نهاية عصر الأسرات الوطنية،ج 2، وزارة الثقافة للمجلس الأعلى للآثار،(د.ب)، 2004 ،ص 289.

[3] Jan assmann , la notion d'éternité dans l'Egypte ancienne, université de Heidelberg, jeneve,2003,p p113,121 .

[4] سيد قمني، المرجع السابق، ص ص115 ،117.

هكذا آمن المصـــريون أنه عند موتهم ســـوف يرحلون إلى هذا العالم الذي ســـوف يكون مختلفا عن عالمهم المادي الفاني وعليه سوف يكون عالما خالدا، هذا الاعتقاد الذي كان أساس الديانة المصرية حيث أكد المؤرخ

"ول ديورانت" على أن أهم ما ميز الدين في مصر القديمة "توكيده لفكرة الخلود" إلا أن تصورات هذا العالم كانت مختلفة ومتضـــاربة وذلك حســـب رأي العديد من المؤرخين حيث تخيله بعض المتفقهين في جوف الأرض والبعض الآخر رآه في الغرب و الرأي الثالث رجاه في السماء ، وفي سبيل تفسير هذا التضارب قسم المؤرخون أراء المصريين في هذا الشـــأن إلى مذهبين اثنين، حيث يعتقد المذهب الأول أنه عند وفاة الإنســـان يبقى قرينه الذي أطلق عليه اســـم "كا" الذي لا بد له من الموت مرة ثانية في جوف الأرض فكانت تلك الطقوس والقرابين والصـــلوات بهدف حمايته من أي مخاطر .

أما المذهب الثاني فيعتقد أنه عند انتقال الروح إلى الدار الآخرة ســـوف يجد حياه أخرى يعيشـــها إما تكون سعيدة أو شقية بحسب ما جناه في دنياه الزائلة ومن هنا ظهرت فكرة الحساب للفصل في صورة هذه الحياة [1]

وعلى العموم فقد كان هاجس المصـــريين القدماء الحياة الأبدية بعد الموت فكان البحث الجاد وبذل الجهد وتوق كبير لضـمان هذه الأبدية بعد الموت وقد تصوروا الخلود بعد الموت في البداية في إطار التمتع بالطيبات ذات نفس النوع في عالمه الدنيوي [2].

وقد ظهرت أولى الدلائل على الإيمان بوجود عالم آخر أو حياة بعد الموت في مصـــر القديمة خلال العصـــر النيوليتي حيث تم العثور على مقابر تحتوي على أدوات وطعام وأســـلحة بدائية مع الموتى وإن دل هذا على شـــيء فإنما يدل على أن الاعتقاد باستمرار الحياة بعد الموت قد هيمن على إنسـان هذه الفترة ومما زاد هذا الاعتقاد يقينا هو بقاء الجثة محافظة على هيئتها دون تدخل مجهود بشـــري في ذلك بل كان ذلك يفعل الطبيعة والتي تمثلت في الرمال الصحراوية الجافة ومناخ مصر.

وفي حضـارة البداري كان الميت يلف في جلود حيوانية وتوضـع في المقبرة تحت الحصـيرة أو الأواني لحمايتها من الحيوانات المتوحشـة أو في صـناديق أو توابيت خشـبية، أما في حضـارة مرمدة بني سـلامة فإن الموتى يدفنون داخل نطاق القرية أو تحت مساكنهم قاصدين بذلك تدفئة الموتى اعتقادا منهم أنهم يشاركونهم حياتهم لكن بصورة أخرى [3].

---

[1] سيد القمني، المرجع السابق، ص 118.

[2] أرنولد توينبي، تاريخ البشرية، تر نقولا زيادة، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 2004، ص103.

[3] ياروسلاف تشرني، الديانة المصرية القديمة، تر أحمد قدري، مر محمود ماهرطه، دار الشروق، القاهرة، ط1 ،1996، ص30.

ومع بروز الحضارة المصرية بكامل مقوماتها سيطر مفهومان حول العالم الأخر في مصر القديمة:

1ـ مفهوم العالم الآخر في المذهب الشمسي:

ويتلخص في الاعتقاد أن أرواح الأموات تمر في القســـم الأول من الليل حيث أن الأخيار فقط هم من يحضون بالركوب في مركب الإله "رع" ونقصد بالأخيار الذين يحفظون ويرتلون الصيغ السحرية الخاصة بالعبور،ومن ثمة العروج إلى الســماء حيث يتنعمون بجنة الخلد، ونشـير هنا أن هذه الرحلة كان يعنى بها فقط الملوك باعتبار أنهم أبناء" رع" وفي مرحلة لاحقة امتد هذا الإمتياز حتى الأســـرة المالكة ورجال البلاط وكبار الموظفين إلا أن هذا ربما يرجع تفسـيره إلى أنهم يؤدون مهام الخدمة للفرعون لهذا تم اصـطحابهم في رحلته السـماوية وقد سـاد هذا الاعتقاد خلال عصـــر الدولة القديمة، إلا انه لم يســـتمر حيث قابله عامة الشـــعب بالرفض إذ تمثل في ثورة اجتماعية دينية طالبت بالتمتع بالجنة السماوية وأن يصبح حقا للناس على حد سواء.

وقد ورد ذكر هذه الجنة السماوية ومواصفاتها في "متون الأهرام" حيث تذكر البردية رقم 815 في خطاب للملك: " هل تريد أن تحيى يا حورس، يا من يسـيطر على حربة الصـدق، إذا كان الأمر كذلك عليك ألا تغلق مصـراعي باب السماء ويجب عليك أن لا تحمي عقبه وخد روح "بيبي" إلى هذه السماء بين المنعمين حول الإلهة".[1]

وظهور هذا الفكر أو المذهب يرجع إلى أثر الشمس حيث أن الإنسان المصري القديم يرى فيها أن الأهمية العظمي لها تكمن في ذاك الضـوء والدفء الذي تنشـره مرسـلة بذلك الحياة للإنسـان والطبيعة على حد سـواء فالشـمس تشـرق في كل صـباح لتسـطع طول النهار وتختفي كل مسـاء في الأفق الغربي لتعود لتشـرق مرة أخرى لأن هذا الاختفاء ما هو إلا اختفاء مؤقتا، وعليه فإن المصريون ربطوا اعتقادهم بأن الحياة الإنسانية تتماثل مع المسار اليومي للشمس [2].

2 ـ مفهوم العالم الآخر في المذهب الأوزيري:

يعتبر المذهب الأوزيري نظاما دينيا يقدم نظرة ثاقبة حول فلسفه المصريين القدماء حول الموت والحياة الآخرة، سمي بهذا الاســـم نسبة للإله أوزيريس الابن البكر لكل من إله الأرض "جب" وإله السماء " نوت "حكم مصر قديما قبل ظهور الكتابة وتقول الأسطورة أنه يرجع له الفضل في تعليم المصريين الزراعة و الحياة المنظمة وساعدته في ذلك زوجته"إزيس"،وقد كان يرمز أوزيريس للخير أما أخاه سـيت حسـب ما ذكر في الأسـطورة فقد كان رمزا للشـر، حيث حقد عليه لما آل إليه من حكم أبيه بالوراثة فقرر قتله ورماه في النيل، فحزنت عليه زوجته إيزيس حزنا شديدا وضلت تبحث عن جثة زوجها بمساعدة ابنه غير الشرعي من أخته "نفتيس" أنوبيس "[3].

---

[1] سيد عويس، الخلود في التراث الثقافي المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999، ص ص 60،70.

[2] ياروسلاف تشربي، المرجع السابق، ص 112.

[3] سيد القمني، المرجع السابق، ص ص،98،100.

حتى عثرت عليه وأعادته إلى مصر لتقوم بدفنه بطريقة تليق بحاكم، إلا أن "سيت" علم بالأمر فمزق جسده ونثر أجزاءه وبعثرها في كل أنحاء مصر، لتقوم مرة أخرى زوجته المخلصة بجمع أشلائه حيث جلست تبكي على جسده وتستعطف الإلهة لتستجيب لها إذ قامت أمه نوت بإحياء رميم عظامه " فقام من بين الأموات" وفي تلك اللحظة حملت منه إزيس بابنه "حور"، وهكذا ارتفع الناهض من بين الموتى إلى السماء ويصبح بذلك إلها لمملكة الموتى والتي تتمركز في اعتقاد المصريين في الغرب كتعويض لما حدث له.

عندما كبر ابن أوزيرس"حور" وقرر الانتقام لأبيه والذي انتهي بقتله لعمه بعد أن اقتلع هذا الأخير عين "حور" إلا أنه استردها وقدمها لأبيه تضحية وبرا فبعث أوزيريس من جديد، واسترد حورس عرش أبيه بعد أن فصلت المحكمة الإلهية ووضعت حدا لهذه الحرب الدموية بإعلان حورس الابن الشرعي لأوزيريس حاكما على البلاد وهكذا أصبحت سلالة نسله من ملوك مصر سلالة من الإلهة المقدسة [1].

وقد ظهر المذهب الأوزيري متعاليا إبان الثورة الشعبية الكبرى التي أسقطت الأسرة السادسة، وقضي على الدولة القديمة نهائيا وصعد بذلك كإيديولوجية مصاحبة لهذا النهوض الشعبي وبذلك بدأ تراجع "رع" أمام تصاعد أوزيريس[2] .

[1] سيد القمني، المرجع السابق، ص ص،98،100.

[2] بنين مازن مهدي، آلهة مصر القديمة حتى نهاية الأسرة الثامنة عشر، بحث كجزء من متطلبات نيل شهادة البكالوريوس في التاريخ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بابل، 2022، ص07.

أو ربما أبعد من ذلك وبالتحديد في الأسرة الرابعة إذ أن عقيدة أوزريس ما هي إلا نوع من الاحتجاج أو التمرد في عصر عمل فيه كل الأفراد في أعمال السخرة لا لشيء إلا لتشييد مقر خلود الملك، و هذا ما يتجلى بين سطور الأسطورة التي تعبر عن المحنة و الظلم والتعسف وقد عبرت هذه العقيدة على القيم الخلقية التي تحلى بها الفقراء فأصبح بذلك اله الشعب وبهذا فإن عقيدة أوزيريس هي عقيدة المخلص المصرية في ظل مطالب عامة الشعب بالتمتع بالجنة السماوية شأنه شأن الملوك و هكذا جاء اعتراف الديانة الملكية بعالم الموتى يقع تحت الأرض في مملكة يحكمها أوزيريس يذهب إليه عامة الشعب إلا أنه لا يتمتع بالخلود ومع الأسرة الخامسة خاصة بعد الخطوة التي قام بها بعض من النبلاء وأشراف الأسرة الخامسة والمتمثلة في استقلالهم بإقليمهم عن العاصمة وبذلك اقتحامهم عالم الخلود.

إلا أن هذا الأخير اقترن هو الأخر بطبقة النبلاء والأشراف الذين سرعان ما تمردوا على القوى الشعبية وعقيدتها الأوزيريه الأمر الذي شجع على ظهور اتجاها ثوريا متطرفاً يدعوا إلى التشكيك أو ربما حتى إلى الإلحاد بكل المقدسات لكن رغم كل هذا لم يتراجع الإيمان الشعبي بالعقيدة الأوزيرية بل زاد إيمانهم بأن البعث والخلود يمكن أن يناله الجميع لأن أوزير منح الخلود لكل من آمن به وآمن بأنه "قام من بين الأموات،ومن هنا ظهرت فكرة أوزير هو رب البعث والخلود الأبدي [1].

[1] سيد القمني، المرجع السابق، ص ص 154،159.

2-1 رحلة الموتى حسب العقيدة الأوزيرية:

يعتبر أوزيريس هو رب الغرب ملك العالم السفلي والذي لطالما اعتبره الأحياء عالماً خفيا لهم وللأموات أيضا لكثرة عراقيله وعليه فإنه يجب على الميت أن يعد العدة للقيام بهذه الرحلة المليئة بالتحديات والظروف الصعبة وقد كان كل هذا يرجع سببه حسب اعتقادهم لحماية إقامة أوزيريس من كل خطر يؤثر على عملية البعث من جديد، وللوصول إلى قاعة أوزيريس على المتوفى أن يعبر طرقا محفوفة بالمخاطر وعليه فإنه يجب على المتوفى أن يكون ملما بطبوغرافيا المكان و الصيغ السحرية التي تقال كل حسب موضعها والتي يستمدها مما يجده من إرشادات مدونة في القبر لكي يصل من دون عراقيل و رغم كل هذا الاستعداد فإن المتوفى سوف يقع في معضلتين أولها أنه ليس بالضرورة أن تؤدي هذه الطرق إلى الجنة فبعضها يؤدي إلى سدود من النيران وثانيها أتباع سيت الأشرار الذين يتربصون بذاك المتوفى الذي يشق رحلته أملا في الوصول إلى سيده أوزيريس ومن أجل الوصول بأمان عليه ترديد الصيغ التي تضمن له المرور في مدنهم بنجاح.[1]

كما تتضمن رحلة المتوفى مروره من أبواب عليها حراسة مشدده ولتجاوزها أيضا يجب عليه أن يستعين بمعارف وكفاءات تشبه التي تتميز بها الإلهة وقد سميت هذه الأبواب بـ"دهاليز مملكة الغرب الاثنى عشر" ويذكر أنه في الدولة الوسطي وفقا لما تذكره نصوص التوابيت تعدادها ثلاثة حيث أن الدهليز الأول مصنوع من اللهب الأزرق المتعالي إلى حد السماء والمترامي الأطراف خمسين ذراعا "25متر"

والصيغة التي تستخدم للنجاة منه هو مخاطبة الإله بقول"أنقذني من هذا الإله الذي يعيش على الضحايا، الذي يشبه رأسه رأس الكلب وجسده كجسد الإنسان والذي يقوم على حراسة جوانب نهر النيران والذي يبتلع الظلال، وينتزع القلوب والذي يقذف بالحبل ذي الأنشوطة دون أن يراه أحد".

أما الدهليز الثاني فيدعى "ذى القرنين العاليين" ويقوم بحراسته (النائم في النيران العظمى)، ويلجأ المتوفى لحماية نفسه منه إلى أوزيريس وإنقاذه منه.

أما الدهليز الثالث فيعد أخطرهم وإذا عبره المتوفى لغفلة منه فما له إلا الهلاك الأبدي لا محال حيث أنه مكان محاط بالنيران لمسافة تعادل ثمانية وأربعين كيلومتر تقريباً، وفي هذه المرحلة فكل ضال في هذا الدهليز يقوم مباشرة الإله تحوت بتحويله إلى المحكمة أين يصدر حكما بهلاكه من طرف كل من شو وتفنوت[2] .

[1] ديمتري ميكس،كرستين ففار، الحياة اليومية للآلهة الفرعونية، تر، فاطمة عبد الله محمود ، مر، محمود ماهر طه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2000،ص ص ،256.
[2] نفسه، ص ص256،259.

أين يلتمس المتوفى من رب التاسوع إنقاذه "أنقذني من هؤلاء المكلفين بإحداث الجراح، هؤلاء التي تسبب أصابعهم الألم... الذين يقومون بالمذابح في نار جهنم، الذين لا يمكن الفكاك من مراقبتهم... لن تخترق سكاكينهم جســـدي، ولن أدخل في نارهم لا لن أدخل غليانهم ومن خلال الروايات في عهد الدولة الحديثة والي تتكلم عن رحلة الموتى فيتبين أنه هناك سـبعة أبواب محروسـة على المتوفى اجتيازها من أجل الوصـول إلى قاعة أوزيريس، وقد كان المتوفى يعتمد في عملية العبور على معينات تتمثل في ما ورد في كتاب الموتى من نصـــوص دينية و تعاويذ إضافة إلى استخدام السحر والمعين الثالث يتمثل في المرافقين كبعض من الآلهة أو الكائنات الأسطورية"[1].

وعليه فإن رحلة المتوفى لم تعد تلك الرحلة التي تبعث على الخوف والقلق كما كانت في الأول حيث أنه بمجرد تلقين المتوفى بالمعارف وقراءة تلك النصـوص المحفورة في التوابيت سـوف تضـمن نجاحه في هذه الرحلة إلا أن هذه المعرفة كانت محدودة جدا، إذ أن الأقلية هي التي كانت تجيد القراءة أما الأغلبية كانوا لا يدركون تلك المعارف وعليه فإن خلاصهم كان مرتبطا بابن بار يدعوا له ومتمكن من قراءة تلك الصيغ [2]

2-2- الوصول إلى قاعة الحقيقة:

أو الماعت، وقد ذكرت في كتاب الموتى في الفصل 125 لأول مرة في مشـهد تصـويري دقيق يظهر محاكمة المتوفى داخل قاعة الماعت" ربة العدالة أو آلهة الحقيقة"يترأسها **أوزيريس** جالسا في عمق القاعة محاطا باثنين وأربعين قاضيا، أما في الطرف المقابل يقوم أنوبيس (إله التحنيط ودليل الأرواح) بإدخال المتوفى في جو مهيب[3].

وينقسـم مشـهد المحاكمة إلى قسـمين أو مرحلتين فالمرحلة الأولى تبدأ بتحية موقرة يبديها المتوفى للحضـور ثم يباشر بإعلان براءته فيما أطلق عليه "بالاعترافات الإنكارية" [4]

[1] ديميتري ميكس كريستين ففار، المرجع السابق، ص 259.

[2] نفسه، ص ص 260، 262.

[3] أنّا مانسيني، ماعت فلسفة العدالة في مصر القديمة، تر علي رضوان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 2009، ص 66.

[4] كاهينة قبايلي، المرجع السابق، ص63.

وذلك بقوله: "التحيات لك أيها الرب العظيم رب العدل المطلق.

جئتك سيدي وجيء بي لمشاهدة كمالك،

أنا أعرفك وأعرف الآلهة الإثنين والأربعين:

الذين معك في ساحة العدل المطلق

الذين يتعيشون على أصحاب السوء ويتغذون على دمائهم؛

في اليوم الذي فيه يقام الحساب أمام الكائن الجميل (أوزير)،

جئتك أشاهد جمالك ويداي مرفوعتان (ابتهالا) لإسمك "العدل"

يا من عيناه بنتاه والعدل المطلق هو اسمه، جئتك بالعدل وزهقت لك الباطل،

أنا أعطيت الحق لفاعله وأعطيت الظلم لمن جاء يحمله.[1]

لم أظلم إنسانا،

لم أسيء استخدام حيوان،

لم أرتكب حماقة في مكان الحق،

لم أعلم بما هو موجود.

لم أنظر لعورة،

لم أقم بزيادة وتيرة العمل المحدد مع بداية النهار.

لم آت باسم قبل اسم الإله."[2]

[1] كتاب الخروج في النهار"نصوص مصرية قديمة"، تر شريف الصيفي، المركز القومي للترجمة القاهرة، ط2، 2009، ص ص262،261.

[2] نفسه، ص 262.

وهكذا يستمر بعرض سلوكياته إن لم نقل أنها فضائله أمام كل حضور الماعت بما فيهم الاثنين والأربعون آلهة ومن ثم تبدأ المرحلة الثانية والتي تعتبر أهم مرحلة في تجسيد العبور نحو الخلود وتتمثل في مشهد الميزان الذي يتوسط القاعة حيث يتم وزن قلب المتوفى مقابل ريشة الماعت رمز العدالة بإشراف الإله أنوبيس أما عملية توثيق النتيجة فيتكلف بها إله تحوت "إلهة الكتابة ".

ويعبر هذا المشهد على استبيان صدق أقوال المتوفى حيث إذا حقق القلب توازنه مع ريشة ماعت كانت الجنة جزاءه والخلود مع الأبرار في حقول النعيم.[1]

وتجدر الإشارة هنا أنه في عملية الوزن هناك قولان الأول الذي ذكر سابقا والثاني تكون فيه أقوال المتوفى صادقة إذا كان وزن قلبه أخف من وزن الريشة وإذا ظهر عكس ذلك فإن مآله "الملتهمة" وهي عبارة عن وحش خرافي برأس تمساح ومؤخرة فرس النهر وبدن أسد حيث يكون جاثما منتظرا أمام الميزان النتيجة العكسية والتي تقضي بالتهام قلبه فيكون بذلك مقدّرا على الجسد الفناء. [2]

[1] أنا مانسيني، المرجع السابق، ص68.

[2] كاهينة قبايلي، المرجع السابق، ص 63.

2 ـ 3ـ تصور الجنة والخلود:

كانت الجنة في نظر المصريين في ضل المذهب الأوزيري هي حقول "أيارو " وهي حقول غير عادية حيث ينمو بها القمح والشعير بارتفاع يقدر بسبعة أذرع، وعليه فهو يمارس الزراعة، وينعم بظل شجرة "الجميز" وهي الشجرة المباركة أو بتعبير آخر شجرة الخلد ثم تتطور لتنتقل فجأة إلى السماء كمقر للخلود وسط حقل الفيضان السعيد أين يتمتع بالخيرات والأمان.

وبعد مرحلة تطورية يصبح مقر الأبدية مع الإله ساكنا حقل يارو داخلا وخارجا في العالم السفلي وأينما يتواجد تكون الحقول والوفرة والنعيم.

وعليه فإن صورة الجنة في العالم السفلي كانت شبيهة لحد ما بحقول مصر وخيراتها وهي تعبير على متطلبات الإنسان المصري القديم المادية بصفة خاصة، الأكل والشرب واللباس.... الخ، حيث تقول النصوص:

إن الميت في مقر الخلد

يتلقى نصيبه مما في شوتة الإله العظيم،

ويلبس من الثياب مالا يفنى،

وله من الخبز والجعة، ما يبقى أبدا، وهو يأكل خبزه وحده،

طعامه بين الإلهة، وشراب النبيذ، بل وسوف تكون له نساء حسناوات الأرض، يتمتع بهم ويقوم بكل المهام التي كان يقوم بها على الأرض.[1]

2 ـ4ـ رحلة الشمس في العالم السفلي:

قسم العالم السفلي حسب ما ورد في الكتاب "ما في العالم الأخر" الى اثني عشر إقليما يجري فيها نهر وما يتضح هنا أنه التقسيم الذي يعتد به في مصر ومن خلال هذا النهر تسبح الشمس في مركبها عند غروبها من كل يوم مجتازة بذلك العالم السفلي في زمن قدره أثني عشر ساعة لتنشر ضوئها وإشعاعها في هذا العالم المظلم فيكسر الظلام بالنور مما يبعث على الفرح والحياة لسكان هذا العالم ووفق هذا المبدأ ينتظر الموتى على ضفاف هذا النهر كل ليلية عبور مركب الشمس في جو يغمره التهليل والحمد لمن أدخل عليهم هذا النور.[2]

---

[1] سيد القمني، المرجع السابق، ص ص164،166.

[2] سيد عويس، المرجع السابق، ص 76.

وتشير هنا أن هذه الرحلة وضمن مسيرتها والمقدرة باثني عشر ساعة تواجهها عقبات ومطبات ومصاعب يساعدها عليها قاطني هذا العالم والتعاويذ السحرية. وإجمالا فإن أخطر العقبات حسب ما ورد في هذا الكتاب ما يحدث في الساعة السابعة حيث تنحصر مياه النهر ويجعل عملية الإبحار فيه صعبة فيظهر تهديد الثعبان

" أبو فيس " بابتلاع المركب وللتخلص منه تتلو إيزيس تعاويذها السحرية وتعود السفينة لاستكمال رحلتها والتي تنتهي في مشرق السماء وهو ما يسمي بالبعث الجديد الظاهر للنهار، وتتكرر هذه الظاهرة في صورة موت ونشور أبدي[1].

2 ـ 5 ـ الخروج في النهار:

لقد عبرت دراستنا حول مفهوم العالم الأخر في مصر القديمة إلى حد الآن عن فكره الانتقال من حالة الموت إلى حالة حيوية أجدد وأسمى أي من عالم الموت إلى الجنة وبذلك تكون عقيدة الموتى في هذه المرحلة قد تجاوزت وتخطت ذلك الهدم الذي يحدثه الموت، لتظهر نقلة نوعية في عقيدة الموتى في عهد الدولة الحديثة والذي تمثل في تصور الخروج في النهار، ويقصد به في هذه المرحلة الخروج من العالم السفلي لرؤية ضوء النهار والتواصل مع الأحياء، و تعود الإرهاصات الأولى لهذه الفكرة في عهد الدولة الوسطى، وقد ارتبط هذا الخروج بمناسبة عيد أوزيريس باعتباره كزمن مقدس يحق للأموات الاحتفال مع الأحياء.[2]

أما بالنسبة إلى الدولة الحديثة فقد ارتبط هذا الخروج بالقدرة على التحول في أي شكل يحبه المتوفى ويعتبر هذا التصور الأخير وسيله الهدف منها التحرر من عالم الأموات، أما عن الدلائل التي وجدت لتعبر عن البدايات الأولى التصور فوجد في شرائط نقوش الجزء الخارجي للتوابيت: "ليعطى حتى يدخل المتوفى إلى بيته ويرى أفراخه وأن يفعل ما هو جيد في زرع شجرته مع جماعه فوق الأرض دائما وأبدا" (المتن 405 من نصوص التوابيت).

أما في الدولة الحديثة فكان الانتقال كما أشرنا سابقا من خلال تحول البا أو الروح إلى أي شكل تريد حيث نجد أن كتاب الموتى قنّن في الفصول "76 وحتى 88 " القدرة على التحول ضمن (متن بعنوان متن من أجل التحول إلى شكل يتمناه المرء)، ودائما ما كان يرتبط هذا الخروج باستقبال القرابين وتناول طعام الموتى في قبره في الحياة الدنيا وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أنه عمل جماعي الهدف منه إبعاد الوحدة والوحشة عن الميت بمعنى آخر ربط الميت بالحيز الإجتماعي.[3]

---

[1] سيد عويس، المرجع السابق، ص77.

[2] يان أسمان، الموت والعالم الآخر في مصر القديمة ،، تر محمود محمد القاسم ،مر هليل غالي ،دن ،دت، ج1،ص587.

[3] أح سبنسر، الموتى و عالمهم في مصر القديمة ،تر أحمد صليحة ،الهيئة العامة المصرية للكتاب ،1987، ص 597.

المبحث الثاني: مقومات العالم الأخر في ثقافة مجتمع مصر القديمة

1- إعداد المقبرة:

تعد عملية إعداد المقبرة من بين أهم المقومات والعناصر التي تساهم بشكل كبير في تأمين البعث والأبدية وقد أطلق المصريون القدماء العديد من المصطلحات على المقبرة من أهمها : بر إن جت - حت إن نحح - حت إنت جت ، وكلها تؤدي إلى نفس المعنى و المتمثل في "مقر الأبدية " حيث اعتبرت بمثابة حق من حقوق المتوفى للإستقرار فيه، وتجدر الإشارة هنا أن عملية إنشاء المقابر كانت بدائية في البداية ومع تطور خبرتهم في فن البناء ومع زيادة اعتقادهم في البعث والخلود بات من المسلمات أن هذه الأخيرة لا يمكن أن تتحقق دون تشييد مقابر من الأحجار الصلبة أو بنحت الصخر في مكان آمن [1].

ويرجع تاريخ هذا التحول في نمط المقابر إلى انتقال المجتمع المصري من مجموعة من القبائل متفرقة إلى زعامات متحدة ثم مملكتين مملكة الشمال في الدلتا ومملكة الجنوب، حيث لكل طرازه المعماري الخاص بالمقبرة، إذ أن الأخيرة الممثلة بأبيدوس تطورت المقبرة إلى غرفة كبيرة نوعا ما تكون تحت سطح الأرض محاطة بغرف صغيرة تستخدم لحفظ القرابين والأثاث الجنائزي وقد زينت جدران هذه المقابر برسومات مرتبطة بالطقوس الجنائزية، أما بالنسبة لمملكة الشمال الممثلة في سقارة فمقابرها كانت مستوحاة من القصور الملكية.[2]

عموما فقد كان للمقابر دورا محوريا في حياة المصريين القدماء حيث اعتبروها بوابة للعالم الأخر، فلم تكن مجرد أماكن لدفن الموتى بل بيوتا أبدية تضمن لهم حياة كريمة بعد الرحيل، وعليه فإن المصريين حرصوا على بناء مقابر متينة تحمي جاثمين موتاهم من التلف لاعتقادهم بضرورة بقاء الجسد سليما لعودة الروح إليه في العالم الآخر ناهيك على إهتمامهم بتجهيز المقابر بكل ما يلزم من أطعمة وأسلحة و قطع وأدوات مختلفة تضمن عملية انتقال الروح إلى العالم الآخر وتجاوز كل الصعوبات التي تصادفهم خلال هذه الرحلة، كما آمن المصريون بالحساب في العالم الآخر كخطوة للإنتقال إلى الخلود فاهتموا ببناء مقابر ضخمة وفخمة مزودة بالتعاويذ، وإجمالا فإن المقابر في الحضارة المصرية شيدت في الضفة الغربية لنهر النيل لاعتقادهم أنها أرض الموتى وقد شهدت تطورا شأنها في ذلك شأن التطور الحضاري الذي شهدته الحضارة المصرية حيث كانت مع بداية الأسرة الأولى عبارة عن مصطبة ويقصد بها بناءا مستطيل الشكل يكون فوق سطح الأرض تتسع جدرانه في الأسفل وتضيق كلما ارتفعت وتتكون سطوحه من دخلات وخارجات يطلق عليها اسم المشكاوات.[3]

---

[1] رمضان عبدو علي، المرجع السابق، ج2، ص 291.

[2] رمضان عبدو علي، المرجع السابق، ج3، ص 534.

[3] كاهينة قبايلي، المرجع السابق، ص ص63،65.

1ـ 1ـ المقابر الملكية في عهد الدولة القديمة:

وما المقابر الملكية في عهد الدولة القديمة إلا تطور مشـــتق من المصـــاطب حيث أن هرم " زوســـر "المدرج يتكون في الأســاس من ستة مصــاطب، و يعتبر "إريك هورنج "أن هذه المرحلة هي الثانية فيما يخص تطور المقابر الملكية التي تمتد من (2700ق.م- 1640ق م)، و يعتبر الملك زوسر أهم شخصية خلال الأسرة الثالثة ككل من خلال إنجازاته الجنائزية بصفة خاصة والعظيمة والتي بناها له مهندسه " إيمنحتب " في سقارة والتي كانت تتميز بتفاصيل مستوحاة من الأشكال النباتية والتي كانت تعطي بعدا ينم عن تصور المصريين القدماء لطبيعة الحياة في جنان الخلد في العالم الآخر ، ناهيك عن ســـطحه الخارجي المتكون من الدخلات والخارجات (المشـــكوات)، ويتكون ســور المقبرة من 14 بابا وهميا تدخل فيه روح المتوفى وتخرج بحرية أما الباب الحقيقي فموجود في أقصـى جنوب السور من الناحية الشرقية أما حجرة الدفن فموجودة بالأسفل إضافة إلى العديد من الغرف التي حفرت في الصـخر تحتوي على العديد من الأواني و المتاع والمسـتلزمات التي يحتاجها المتوفى في العالم الآخر بحسـب تقدير الفكر الديني في ذاك العصر، وقد بني المعبد الجنائزي بجانب الهرم إلى الشمال[1].

وقد تميزت مجموعة زوسر في سقارة بأول مجموعة تتميز بالعظمة والفخامة وبداية ظهور المقبرة بشكلها الهرمي.

عرف عهد الدولة القديمة مرحلة بناء الأهرام بل وأكثر من ذلك حيث أن ملوك هذه الفترة يتســـابقون في تشـييد الأهرامات الضـخمة وربما يعزى هذا إلى الإعتقاد بأن الإنسـان سـيبعث مرة أخرى ليحيا حياة الخلود إذا ضل جسده سليما واسمه خالدا باستمرارية ذكره هذا الأخير الذي لا يتحقق إلا بشيء خارق عجيب يخلد هذا الذكر فكانت بذلك الأهرام والمغالاة في تشـييدها وقد تجســد ذلك بقوة مع الأســرة الرابعة ممثلة في هرم خوفو نحوي(2590ق.م – 2589ق.م) و خفرع بين عامي (2558 ق م - 2534 ق.م)وهرم منقرع، وفي مجملها سميت بأهرام الجيزة، وقد تميزت هذه الأهرامات بضخامتها كما اتضحت من خلالها مهارة البناء [2] .

[1] محمود مرسي محمد جارحي، مراحل تطور شكل المقبرة الملكية في مصر القديمة من الدولة القديمة إلى عصر الملك تحتمس الأول للدولة الحديثة، مجلة العمارة والفنون، (د ت)، ص ص534.

[2] أرنولد توينبي، المرجع السابق، ص 104.

والجدير بالإشارة أن هذه الأهرام الضخمة تخلو من الكتابات أو الصور وعليه فإنه من اللّامنطقي أن نسلم بفكرة أن هذا البناء الضخم الذي ضل صامدا لأكثر من خمسة وأربعون قرنا لحماية جثة واحدة وإن كانت لملك[1].

أو هو عبارة عن تجسيد معماري جديد لفكرة عقائدية تتمحور حول صعود الملك المتوفى الهرم من خلال سلم من أجل العبور إلى السماء مستخدما في ذلك السفن التي كانت موجودة بجوار الهرم والتي كانت تسمى " بمراكب الشمس " وصولا إلى جنة الخلد والتنعم بخيراتها والتي كانت وقفا على الملوك فقط دونا عن غيرهم [2] .

أما عن أهرام الأسرة الخامسة والسادسة في عهد الدولة القديمة فلم تكن بتلك العظمة التي جسدتها الأسرة الرابعة إذ أن بعضها لا يزيد عن ارتفاع تسعة أمتار إضافة إلى أنها لا تتمتع بنفس الدقة ويرجع هذا إلى ضعف الجانب الاقتصادي في نهاية الدولة القديمة[3].

إلا أنه هذه المجموعة الهرمية وبالتحديد هرم أوناس آخر ملوك الأسرة الخامسة قدمت لنا أقدم نص مكتوب عن العقيدة المصرية وعرف بإسم " **نصوص الأهرام** " وهي عبارة عن نصوص دينية دونت على جدران الأهرام تضمنت شعائر جنائزية خاصة بالقبور وتعاويذ سحرية وأناشيد دينية، الهدف منها ضمان تمتع الملك بآخرة أبدية في الجنة السماوية [4].

1 – 2 – المقابر الملكية في عهد الدولة الوسطى:

تميزت الدولة الوسطى المصرية بشيء من الاستقرار والإزدهار مما أنعكس على تشييد المقابر الملكية التي اتخذت طابعا فريدا يميزها عن مثيلاتها في العصور السابقة، وقد تم تشييد معظمها في الدير البحري غرب طيبة وكانت هي الأخرى مزودة بمعابد جنائزية شيدت أمام مدخل المقبرة وكانت بمثابة أماكن لعبادة الإله رع ولتقديم القرابين للملك المتوفى.

وتجدر الإشارة هنا أنه تم تزيين جدران المقابر بنقوش ورسومات جداريه تصور مشاهد من حياة الملك ومراسيمه الجنائزية ورحلته في العالم الآخر إضافة إلى النصوص الدينية [5].

---

[1] أدولف إرمان، ديانة مصر القديمة نشأتها وتطورها ونهايتها في أربعة آلاف سنة، تر عبد المنعم أبو بكر ومحمد أنور شكري، مكتبة مدبولي، القاهرة، (د ت)، ص ص336،337.

[2] أحمد فخري، الأهرامات المصرية، مكتبة أنجلو المصرية،1963، ص 157.

[3] محمود مرسي محمد جارحي، المرجع السابق، ص539.

[4] علاء الدين عبد المحسن واخرون، المرجع السابق، ص 27.

[5] محمود مرسي محمد جارحي، المرجع السابق، ص 541.

كما انتشرت في هذه المرحلة بناء الأهرام الصغيرة والتي كانت بطبيعة الحال تقليدا للأهرامات الضخمة في الدولة القديمة إلا أنها أقل كلفة ويدل هذا على أن بناتها كانوا من أوساط الناس وقد تميزت بنقر غرفة التابوت في الأرض الصخرية [1].

وعلى العموم فإن المقابر في الدولة الوسطى كانت مزيجا بين أهرامات الدولة القديمة والمقابرالصخرية المنحوتة في الجبل مثل مقابر البرشا وأسيوط وأسوان وبني حسن والتي كانت تحتوي على إبداعات فنية جدارية جسدت الأنشطة والممارسات الملكية في ذلك العهد[2].

1 ـ 3 ـ المقابر الملكية في عهد الدولة الحديثة:

بوصول الأسرة الثامنة عشر إلى الحكم تدخل مصر مرحلة تاريخية جديدة حيث أعتمد ملوك هذه الفترة طريقة جديدة في تشييد مقابرهم خاصة و أن أهرام الدولة القديمة ومقابر الدولة الوسطى قد تم سرقتها من اللصوص رغم كل الاحتياطات التي أتخذت لتجنب ذلك فقد كان من الضروري أن يجد ملوك الدولة الحديثة حلا جذريا لهذه المعضلة ، لهذا لجأ ملوك هذه الفترة إلى نقر قبورهم في صخر الجبل مخفية وراء الهضاب في وادي طيبة الغربية والذي سمي بوادي الملوك وقد كان هذا الإختيار مبنيا على أسس والتي من بينها خلو المكان من مقومات الحياة وطرق الوصول إليه صعبة مما جعله مكان معزولا فكان بذلك المكان الأفضل لإخفاء المقابر الملكية، وقد كان أول الملوك في بناء هذا النموذج من المقابر " تحتمس الأول " الذي بنى مقبرته في أعمق الفجوات في وادي الملوك خلف سلسلة من التلال الجبلية وقد تم ذلك في سرية تامة وذلك من أجل حمايته من أيدي اللصوص والهدف من ذلك الحفاظ على الملك في بيته الأبدي والجدير بالذكر هنا أن جدران هذه المقابر كانت تختلف عن سابقيها حيث شهد الأدب الجنائزي تطورا إذ ظهر نوع جديد أكثر إتقانا مأخوذا من كتاب الموتى، و رحلة الشمس في العالم الآخر وعن الرسومات فكلها كانت تعبر عما هو موجود في هذه الكتب[3] .

[1] أدولف إرمان، المرجع السابق، ص 358.

[2] محمود مرسي محمد جارحي، المرجع السابق، ص 541.

[3] نفسه، ص ص542، 544.

المبحث الثالث: التحنيط ومراحله:

1- التحنيط:

آمن الإنسان المصري القديم أن الجسم البشري يتكون من سبعة عناصر، تتفكك بالموت هذا الأخير الذي أعتبر بوابة عبور إلى الحياة الأبدية، والتي لا تكون إلا بالتحام هذه العناصر:

- الروح والتي أطلق عليها " البا "والتي صورت على هيئة طائر برأس آدمي شبيه بشخص المتوفى.
- القرين أو "الكا " وتسمى أيضا الروح الحارسة والتي لا يجب لها أن تفارق صاحبها ولهذا كانت تتلى لها التعاويذ وتقدم لها القرابين.
- الجسد (الهيت) والذي يجب أن يبقى سليما.
- القلب (الأى . ب) .
- الإسم (رن) وضيفته أن يردد عند الدعاء والشعائر وتقديم القرابين.
- الظل (شرت) وهو بديل عن الجسد إذا تعرض الجسم للفناء.
- النفس أو الروح النورانية وهي (أخ) وتكتسب بصالح الأعمال [1]

وعليه بات من مقومات البعث المحافظة على هذا الجســـد ولهذا كان المصـــريون يدفنون موتاهم في المناطق الصحراوية الخالية من الرطوبة والزراعة بهدف امتصاص سوائل الجثث والتي تحفظها من عملية التحلل والفناء، ومع بداية الأسرات إعتمد الإنسان المصري القديم تقنية لف الجثة بشرائط من الكتان ثم لجأوا إلى عملية التحنيط [2].

[1] كاهينةقبايلي، المرجع السابق، ص 55 . 56.

[2] رمضان عبدو علي، المرجع السابق، ج2، ص ص 249 . 295.

تعتبر عملية التحنيط من أهم الممارسات الدينية في مصر القديمة، وهي عبارة عن عملية حفظ جثة الموتى باستخدام تقنيات معينة لمنع التعفن وقد كان هذا حكرا على الكهنة و سرا من الأسرار وقد كانت تستغرق شعيرة التحنيط في الوضع الطبيعي سبعين يوما، حيث يتم إعداد الجثة للخلود بطرق جراحية و كيميائية مدعمة بالسحر و الشعائر، لتعيد في الأخير عملية التوحيد والالتحام الجديد للأعضاء المتفرقة.

وتعتبر شعيرة التحنيط محاكاة لأسطورة أوزيريس الذي قتله أخاه"سيت " ومزق جثمانه إلى أجزاء فرقها على أنحاء مصر، فأصبح المعتقد الديني في مصر القديمة يرى في كل موت تقطيع وتفكيك وبالربط و الالتحام و الوحدة بعثا وحياة أبدية فيكون بذلك الخلاص من الموت.[1]

وعن بداية ظهور التحنيط فيبدوا أنه كان أواخر الأسرة الثالثة وظل يتطور إلى أن بلغ ذروته في عصر الدولة الحديثة حيث اتخذ بيتا خاصا بالعملية يدعى بيت التطهير، وقد كان ثلاث نماذج فالأول باهض الثمن ويرجح أنه كان حكرا على الملوك والثاني أقل تكلفة من الأول ويعتمد على ملأ جوف الميت بزيت الصنوبر دون إستخراج الأحشاء وتوضع الجثة في الملح لمدة سبعين يوما (70 يوما) وبعدها تسلم إلى أصحابها دون امتيازات أخرى أما النموذج الثالث فكان أقل تكلفة من الثاني ويعتمد على غسل جوف الميت بماء الفجلن ثم يترك في الملح لمدة سبعين يوما (70 يوما) أيضا ، وهي الأخرى تسلم إلى أصحابها دون رعاية أخرى، ومن خلال هذا نستنتج أن أصحاب الميت كانوا أمام ثلاث خيارات من التحنيط ولهم في ذلك حرية الاختيار بحسب القدرة المادية للمتوفى أو لأبنائه[2].

2-مراحل التحنيط:

2-1- الغسل والتطهير:

أو حمام التطهير ويتم ذلك بوضع الجثة فوق سرير من الحجر وتنظيف الجسد من الأوساخ العالقة به بواسطة الماء وملح النطرون.[3]

---

[1] يان أسمان، المرجع السابق، ص ص87،88.

[2] كاهينة قبايلي، المرجع السابق، ص57.

[3] حنيش جمعة، قادري زهرة، التحنيط في مصر الفرعونية، مذكرة مكملة لمتطلبات الحصول على شهادة الماستر في تاريخ الحضارات القديمة، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة الوادي ،2017،2018، ص ص 46، 47.

2-2- نزع المخ والأحشاء:

يتم أولا نزع المخ عن طريق الأنف من خلال إدخال خطافا وفي بعض الأحيان يتم فتح الجمجمة وإفراغها ثم يتم إعادتها وتثبيتها، ثم يلي ذلك إستخراج الأحشاء من خلال شق في الجانب الأيسر من البطن ويتم إفراغ البطن إلا القلب فيبقى مكانه لعلاقته بالبعث، أما الأحشاء فيتم معالجتها منفصلة بعد تنظيفها من السوائل وبقايا الأطعمة والدم، ثم يتم وضعها في أوعية تسمى الأواني الكانوبية وهي عبارة عن أواني فخارية بأغطية ذات أشكال معينة موزعة حسب الجدول الآتي:

جدول يبين أسماء الأواني الكانوبية

أولاد حورس	شكل الغطاء	العضو المحفوظ
إمستي	آدمي	الكبد
حابي	قرد	للرئتين
داموتون	إبن آوى	المعدة
كيب . سنوى	صقر	الأمعاء

بعد ذلك يتم سد كل من تجويف المخ بمادة الراتينج باستخدام الكتان، أما الصدر والبطن فيستخدم إضافة إلى الكتان المشبع بمادة الراتينج مواد أخرى مثل الأنيسون والمر والكاشيه ومواد عطرية والنطرون[1] .

2-3 التجفيف:

وتدوم مدة هذه المرحلة أربعون يوما (40 يوما) وتعتبر من أهم الخطوات التي تؤدي إلى حفظ الجثة وتتمثل في إلقاء كميات كبيرة من ملح النطرون فوق الجسد ومن أجل التخلص من السوائل التي مازالت داخل جسم المتوفى والتي تشكل قرابة 68 % أي ثلثين من الوزن الكلي.

[1] حنيش جمعة، قادري زهرة، المرجع السابق، ص ص 48،50.

2-4- صب الزيوت والدهون:

وتعتبر هذه الخطوة بمثابة عملية تجميلية أو ترقيعية تهدف إلى معالجة التغيرات التي طرأت على الجسد بسبب تفاعلات الجلد مع ملح النطرون كتحول لون البشرة إلى الداكن وتمزقها وتصلبها في مواضع أخرى ومن بين الزيوت المستخدمة نذكر: زيت الأرز وشمع النحل والكندر (لبان الذكر) .... الخ.

2-5- التكفين:

وتعتبر آخر خطوة في عملية التحنيط حيث انه بعد وضع اللمسات الجمالية على المومياء يتم لف الجسد بالأكفان وذلك في مدة قدرها أسبوعين مدعمين ذلك في كل لفة بتعويذة من كتاب الموتى.

وتعد مرحلة التكفين من المراحل التي تساهم في تعزيز حماية الجسد من التلف.

وبوضع القناع على وجه المتوفى تنتهي عملية التحنيط وتقرأ التلاوات والتعاويذ من كتاب الموتى حيث يلمس الكاهن الأعظم فم المومياء ويقول: أنت الآن ترى بعينيك وتسمع بأذنيك، وتفتح فمك لتتكلم وتأكل وتحرك ذراعيك وساقيك، أنت تحيا، أنت الآن حي، وعدت صغيرا مرة أخرى، وستعيش إلى الأبد"[1].

[1] حنيش جمعة، قادري الزهرة، المرجع السابق، ص ص 50، 52.

3- إعداد مكونات المتاع الجنائزي:

لقد أخذت عملية تأثيث المقابر نصيبها من اهتمام المصريين حيث اعتبرت من بين مقومات الحياة في العالم الأخر فكان شأنها شأن تأثيث المنازل الحقيقية في الحياة الدنيا وقد ساهمت هذه العملية في تطور المقبرة حيث أن هذا التأثيث بحاجة ماسة إلى وجود أماكن أو غرف لتخزينه.

مرت ودائع القبر هي الأخرى بتطورات على غرار تطور الحضارة المصرية حيث أنه في بداية الأمر كانت في عصر ما قبل الأسرات تقتصر سوى على بعض الأواني الفخارية وعدد من الآلات الحجرية تكوم في حفرة القبر لكن مع أعقاب الوحدة المصرية وزيادة الثروة زادت كميات المتاع الجنائزي هي الأخرى و تنوعت كما دل ذلك على مدى ثراء مالكيها حيث كانت المخازن تملأ بالأواني الفخارية وقطع من الأثاث من العاج أو الخشب وأسلحة وأواني وأدوات حجرية ونحاسية، وأدوات للتجميل ولوحات للعب ، وسواء زادت نسبة الثراء أو قلت فإن الرابط المشترك بين كل هذه الدفنات هو رغبة الإنسان المصري القديم تزويد مقبرته بالمتاع الجنائزي قدر طاقته لإيمانه بحاجته لها في الحياة الأبدية ، وقد تميز المتاع الجنائزي في عصر الدولة القديمة بكثرة الأواني الفخارية والأثاث. [1]

أما بالنسبة لعصر الدولة الوسطى فتميز المتاع الجنائزي بالإكثار من وضع نماذج خشبية للخدم والعمال أو الجنود في المقابر وفي عصر الدولة الحديثة فإن هذه التماثيل كانت صغيرة وتسمى " وشابتي" بمعنى المجيبات وعددها بعدد أيام السنة وضيفتها خدمة المتوفى في حالة طلبه لها ليوم واحد، كما تجدر الإشارة أنه في هذه الفترة قل المتاع الجنائزي وبالتالي عدد المخازن وهذا راجع أن أغلب ما كان يوضع كان من الذهب أو محلاة به، وذخائر ثمينة جعلتها عرضة للنهب والسلب من طرف اللصوص، إضافة إلى نماذج وصور مجسمة لبعض مشاهد الحياة اليومية للملوك على اعتقاد منهم أنها سوف تدب فيها الحياة بمساعدة التعويذات السحرية التي سوف تلقى عليها أثناء العبور إلى العالم الأخر في الحياة الأبدية [2].

تعتبر أيضا الأطعمة والأشربة من ضمن المواد الهامة التي تقدم إلى المتوفى إذ من غيرها لا يستطيع الحياة بعد الموت ولا حتى المتاع الجنائزي والتي كان معظمها يتمثل في قطع لحم بقري وأواني فخارية مملوءة بالنبيذ[3].

---

[1] أح سبنسر، المرجع السابق، ص ص 45،48.

[2] رمضان عبدو علي، المرجع السابق، ج2، ص ص 308، 309.

[3] أح سبنسر، المرجع السابق، ص 49.

4ـ عادات ومراسيم الدفن لدى المصريين القدامى

كانت عادات ومراسم الدفن لدى المصريين القدماء معقدّة و دقيقة، وتعكس إيمانهم الراسخ بالحياة الآخرة، وترجع بدايات هذه الطقوس منذ العصر الحجري الحديث والذي كان يتلخص في تلك المقبرة ذات الشكل البيضاوي، وتوسيد المتوفى واتجاهه ناحية الشرق أو الغرب، ووضعية القرفصاء أو الجنين، والأواني الفخارية.....إلخ،كل هذا دليل على وجود أفكار وعادات تؤطر عملية دفن الموتى والتي لا يعرف تفاصيلها إلى حد الآن إلا أنها إجمالا توحي بتأمين ظروف جيدة لتحقيق بعث ناجح.

ومع توصل المصريين إلى فكرة التحنيط ظهرت بذلك هذه العادات والطقوس[1].

إلا أنها تبرز بوضوح كبير في عصر الدولة الحديثة، وهذا لأنها كانت موثقة في جدران المقابر وهي شبيهة بالتي كانت تؤدى في الدولة القديمة.

وكانت تبدأ عادة بنقل المومياء في موكب من الشرق أين يتم عبور النهر متجهين إلى المقبرة والتي تكون في الضفة الغربية من نهر النيل وبعدها توضع المومياء في زحافة تجرها الثيران بالموازاة مع زحافة أخرى لنقل أواني الأحشاء، يرافقهم مجموعة من النساء يعرفن بالندّابات المحترفات إضافة إلى عدد من الخدم يحملون الأثاث الجنزي، ويتقدم الموكب مجموعة من الرجال المشيعين والكهنة يحرقون البخور ويرتلون الدعوات للمتوفى.

وعند الوصول إلى المقبرة يتقدم التابوت طائفة من الراقصين يطلق عليهم اسم "الماوو" للرقص وطرد الأرواح الشريرة عن التابوت، وبعدها أهم طقس يقوم به الكاهن وهو"طقس فتح الفم" عن طريق السحر والهدف منه استعادة الميت لكامل قدراته التي كان يتمتع بها وهو حي.

وكختام ليوم الدفن يقدم الكهنة وليمة مصحوبة بتراتيل لتعويذة القرابين تحتوي على مختلف الأطعمة، ومن ثمة تودع المومياء في غرفة الدفن وتغلق.

وتجدر الإشارة هنا أن هذا النوع من الدفنات يستفيد منها الأثرياء أما الطبقات الأخرى فتكون أكثر بساطة.[2]

---

[1] رمضان عبده علي، المرجع السابق،ج2 ،ص ص 310،311 .

[2] أح سبنسر، المرجع السابق، ص ص 53،54.

ولا تنتهي هذه الطقوس بانتهاء الدفن بل تقام خدمة دائمة للمقابر يوكل بها كاهن نيابة عن أهل المتوفى، ناهيك عن زيارة القبر في الأعياد وتقديم القرابين ومشـــاركته فرحة الأيام المباركة، ومثالنا على ذلك الاحتفال بعيد الوادي الجميل وما سجل على آمون حيث يترك معبده في شرق طيبة متجها إلى الغرب لزيارة المعبد الجنائزي لحتشبسوت في الدير البحري بمرافقة جمع كبير من أهل طيبة حاملين معهم الأزهار والفاكهة واللحم مع حشـــد من الراقصـــين والعازفين والمداحين لقضاء ليلة كاملة بهدف أن تشاركهم أرواح الموتى هذه الفرحة.[1]

5. تأمين المقبرة:

يعتمد العالم الآخر في مصـــر القديمة على أســـس من بينها الحفاظ على أمن وســـلامة الجثة والمكان، هذا الأخير الذي كان من بين مهام مصمم المقبرة إذ عليه أن يبتكر تصاميم ومعينات تمنع اللصوص من اقتحام حجرة الدفن وبالتالي حماية المومياء وهي تحيا في العالم الآخر وعليه فقد تجلت المحاولات الأولى لذلك من خلال جعل حجرة الدفن في قاع بئر وغلقها بكتلة حجرية كبيرة، وهذا ما كشـفت عنه مصـاطب الأسـرة الأولى، أما فيما بعد وخاصة في الأسرة الثالثة أستحدث التابوت الحجري بعد فشل التابوت الخشبي في تأمين الحماية للتابوت ونشير هنا أن معظم توابيت الدولة القديمة كانت مصـنوعة من الجرانيت و الكوارتز وهذا لصـلابتها وصـعوبة اختراقها إلاّ أنها هي الأخرى لم تؤمن تلك الحماية المرجوة وذلك من خلال زحزحة غطاء التابوت الأمر الذي جعلهم يضـــعون التابوت في فتحة في أرضية حجرة الدفن تصل إلى حافته كما هو الشأن في هرم الملك خفرع.

أما في الدولة الوسـطى زودت التوابيت بأقفال خاصـة، وعن عصـر الدولة الحديثة تم تكبير حجم التابوت إضافة إلى استخدام الأبواب المنزلقة والسدادات الحجرية من الجرانيت.

كما تم تزويد الهرم بممرات للتمويه وأبواب سـرية لتضـليل اللصـوص والمجسـد في هرم أمنمحات الثالث في هوارة والمتمثل في بناء حجرة للدفن كاذبة.

ويعتبر بناء تحوتمس الأول لمقبرته في وادي الملوك ما هو إلا إجراء الغرض منه حماية المقبرة الملكية.

وتزويد المقبرة الملكية ببئر تسد الطريق للغرفة الأمامية لحجرة الدفن، أما في عصر الأسرة السادسة والعشرون تحقق لهم ذلك من خلال حفر بئر بعمق 30 متر ينتهي ببناء حجرة الدفن المربعة الشكل، سقفها على شكل قبة بها ثلاث فتحات تغلق بأواني فخارية قاعدتها إلى الأسفل، ثم تحفر بئر موازية تتصل بحجرة الدفن عن طريق دهليز ضيق يغلق بثلاث كتل حجرية.[2]

[1] كتاب الخروج في النهار، المرجع السابق، ص28.

[2] رمضان عبدو علي، المرجع السابق، ص ص314، 320.

وتقنية العمل هنا تقتضي ملأ البئر الأول بالرمال كسر أواني حجرة الدفن لتغمرها الرمال هي الأخرى ويتم الخروج عن طريق الدهليز الضيق الذي يوصد بالحجر ثم الخروج نهائيا من البئر الموازية لتملأ هي الأخرى بالرمال، وعليه فإن كل محاولة سرقة ستنتهي بدفنه في الرمال لا محال. وعلى كل فإن كل هذه الوسائل والتدابير التي اعتمدت لحماية المومياء لم تكن كافية بل لجأ المصري القديم بالموازاة مع تصاميم البناء إلى السحر خاصة في العصر المتأخر والمتمثل في الطوب المنقوش الموجود في حجرة الدفن وبعض التمائم كتميمة الجعران التي ترمز إلى رب البعث، وعين حورس التي تمثل حماية حورس القوية.[1]

[1] رمضان عبدو علي، المرجع السابق، ص ص 321، 329.

المبحث الرابع: أهم النصوص والكتب التي تتكلم عن العالم الآخر في مصر القديمة

1- نصوص الأهرام:

أو متون الأهرام و هي عبارة عن مجموعة من النصوص الدينية تعود إلى عصر الدولة القديمة و بالضبط خلال عهدي الأسرة الخامسة و السادسة(2345 ق م - 2181 ق م) نحتت على جدران الأهرامات والتوابيت الحجرية ، وتعتبر نصوص الأهرام من أقدم النصوص التي تقدم لنا نضرة المصرين القدماء حول حياة الآخرة ورحلتهم نحو الخلود و يبلغ عددها نحو 714 نص تتضمن إجمالا صيغا سحرية وترانيم وتعليمات ، وأسماء الآلهة والأماكن المقدسة و الغرض من كل هذا هي تسهيل ومساعدة الفرعون أو الملك المتوفى في رحلته نحو السماء لتكتب لروحة الخلود .[1]

وبالتالي فنصوص الأهرام هي نصوص موجهة خصيصا للملوك وعليه فإن الجنة كانت مثوى الفئة القليلة من المصريين القدماء وقد تمثل خلودهم في تصور التحول إلى نجم من النجوم القطبية، وهذا ما يفسر البناء الأولي للأهرامات في الجانب الشمالي "أهرامات الأسرة الثالثة "أو الانضمام إلى المركب بصحبة إله الشمس رع في رحلته اليومية عبر السماء، وقد ظهر في هذه النصوص بعض التناقضات ويتجلى ذلك في الرحلة السماوية مع جمع الآلهة ورحلته الشمسية في العالم السفلي مع الإله أوزريس.[2]

2- متون التوابيت:

ظهرت نهاية الأسرة التاسعة والعاشرة في عهد الدولة الوسطى وتضمنت أكثر من ألف ومئتين نص(1200) ،وهي الأخرى عبارة عن صيغ جنائزية كتبت على الجدران الداخلية للتوابيت مقتبسة في أصلها من نصوص الأهرام، وهي الأخرى تقدم لنا نظرة ثاقبة على معتقدات المصريين حول الحياة الأخرى والتعليمات المساعدة لاجتياز الاختبارات التي تعترض مسار المتوفى بهدف الوصول إلى الجنة .

وقد كتبت هذه الصيغ بالمداد الأسود أما العناوين بالمداد الأحمر وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه المتون لم تكن تقتصر على طبقة معينة بل شملت حتى عامة الناس وهكذا لم يعد عالم الآخرة أو الخلود حكرا على الملوك كما كان في عهد الدولة القديمة[3].

---

[1] رمضان عبدو علي، المرجع السابق، ص 330.

[2] f.ح سبنسر، المرجع السابق، ص ص160،161.

[3] رمضان عبده علي، المرجع السابق، ج 2، ص331.

3- كتاب الموتى:

ويعتبر من أهم النصوص الدينية في مصر ولا يزال لحد الآن محل دراسة من قبل علماء المصريات، ظهر في عهد الدولة الحديثة بعد أن بلغت مصر أوج حضارتها وينسب تاريخه بحسب اعتقاد عالم المصريات " والس بدج"مابين(1500 ق م ــ 1400 ق م)كتب في ورق البردي مع رسوم توضيحية و قد كتبت أفضل نسخة خلال حكم الأسرتين الثامنة عشر والتاسعة عشر وقد كان يحتوي على125فصل أما خلال حكم الأسرة السادسة والعشرون وصل إلى 190فصل.

وتعتبر هذه التسمية حديثة حيث أطلق عليه في البداية "الخروج في النهار"، وهو عبارة عن صيغ وتعاويذ تسهل على المتوفى عمليه العبور، وتذلل له الأسباب للخروج من قبره في النهار والعودة إليه مع مغيب الشمس ليستأنف رحلته الشمسية في العالم السفلي.

وقد حضي هذا الكتاب بأهمية كبيرة. وذلك لأنه ولأول مرة يتم تصوير مشهد المحاكمة الإلهية للمتوفى ووزن القلب بكل تفاصيلها.[1]

4- كتب العالم السفلي:

وهي عبارة عن نصوص زينت مقابر ملوك الدولة الحديثة وتتلخص في مجملها في رحلة الإله الشمس" رع "الليلية، وأهمها ما يلي:

4ـ 1ـ كتاب إمي دوات:

أو ما هو موجود في العالم السفلي، وأقدم نص وجد منقوش في مقبرة "تحتوتمس الثالث""الأسرة الثامنة عشرة "

4-2-كتاب البوابات:

ظهر بعد موت توت عنج أمون ويتضمن هذا النص تقسيم ساعات الليل إلى بوابات

(كتاب الكهوف ـ كتاب النهار ـ كتاب الليل)[2].

[1] نفسه، ص333.

[2] كتاب الخروج في النهار، المرجع السابق، ص ص18،19.

5- كتاب التنفس:

وهو موجود حاليا في متحف اللوفر وهو عبارة عن صيغ تساعد المتوفى على التنفس في عالم السفلي لكي لا يختنق بغباره.

6- كتاب المرور إلى الأبدية:

وهو مجموعة من الصيغ والشعائر التي تستخدم عند طقوس فتح الفم.[1]

[1] رمضان عبدو علي، المرجع السابق ج1، ص 36.

المبحث الرابع: أثر العالم الآخر في ثقافة مجتمع مصر القديمة:

شـغل العالم الآخر حيزا هاما في ثقافة مجتمع مصـر القديمة حيث شـكل إيمانهم بالحياة بعد الموت ركيزة أساسية لنضرتهم للحياة الدنيا وسلوكياتهم في مختلف جوانبها، فتجلى الأثر فيما يلي:

1- العدالة الاجتماعية:

لقد شجع مفهوم العالم الأخر على الأخلاق الحميدة والسلوكيات الجيدة خوفا من العقاب وهذا ما جسدته صـورة المحاكمة والميزان الذي يخضـع له قلب المتوفى والذي يعبر عن الضـمير فكان هذا المشـهد بمثابة الحافز الذي يلهم الأشخاص لفعل كل ما يسخر لهم نيل الجزاء الآخرة في جنة النعيم [1].

يعتبر مشـهد الميزان من المشـاهد التي أكدت على فكرة التوازن في الحضـارة المصـرية والمجتمع المصـري فهم لم يقصـوا الموت ولكنهم أعطوه قدرا كبيرا من الهم والاهتمام حيث أنه مصـدر الكثير من الدوافع الحضـارية وبالتالي التوجه إلى استثمار الجزء الذي يثرى الحياة ويقلل الموت [2].

2- التماسك الاجتماعي:

أثرت التطورات المتسـارعة التي شملت عقيدة الخلود الشعبية على المجتمع المصـري القديم، إذ كان أوزيريس في نظرهم هو ذاك الشـهيد الحبيب الذي غدر ضـلما بيد أخيه سيت، فأصـبحت مدينة قبره "أبيدوس "قبله المصـريين ومزارا إن لم نقل حجا لكل من آمن به أدت إلى إحياء الاحتفالات ذات الطابع الديني وتطور فكرة العماد والتي أصبحت مرتبطة بالخلود وأصبحت كل هذه المعالم تكرر كل سنة حيث كانت بمثابة محاكاة للأسطورة الأوزيرية[3].

كما كان للإيمان بعقيدة البعث و الخلود والحياة في العالم الأخر الفضـــل الكبير في تعزيز الترابط الأســـري داخل المجتمع المصـــري وذلك من خلال الشـــعائر و الطقوس و القرابين التي تســـتمر لما لها من مفعول في عملية البعث و رحلة الخلود حيث توصـي وتلح عقيدة الخلود على هذه الاسـتمرارية حيث أن الإنسـان المصـري القديم كان حريصـا على أن تهتم ذريته به بعد وفاته وبصـفة دائمة و إحياء ذكراه خلال الاحتفالات الدينية ويسـتمر هذا الاحتفال بالتناقل فهي بمثابة الوصـية التي يوصـي بها المتوفى أبنائه وأقاربه ، وقد ارتبطت الحالة الصـحية و النفسية والاجتماعية للأحياء بما يمر به المتوفى من حزن و أسى لانقطاع الدعاء له ويتضح ذلك في رسالة كتبها رجل أنهكته المحن منذ وفاة زوجته قائلا " أي شر فعلته حتى أصل إلى مثل هذه الحال التي أعانيها الآن ؟ "[4]

---

[1] سيد عويس، المرجع السابق، ص140.

[2] أح سبنسر، المرجع السابق، ص 46.

[3] سيد القمني، المرجع السابق، ص ص161، 162.

[4] رمضان عبدو علي، المرجع السابق، ج2 ص ص325،327.

3- الفن والعمارة

أثر إيمان المصـــريين بعقيدة الخلود على الجانب الفني إذ أصـــبحت فكرة البعث بعد الموت من المحاور الرئيســـية التي دار الفن حول فلكها وصـــاغ رموزها وهذا ما يبرر ظهوره الأولي في القبور وبذلك أعطت للفن المصري القديم طابعه المميز وذلك راجع أنه أستند إلى أحد المرجعيات القوية والمؤثرة فظهر فن العمارة حيث أن أكثر ما كان يشغل المصري هو كيفية بناء مقبرته باعتبارها أحد شروط البعث فتحولت العمارة من البساطة إلى البناء ثم إلى التعقيد المتزايد حيث تطور المدفن الملكي تطورا ســريعا بين المقابر في العهد الســابق وصــولا إلى الأهرام نقلة ضخمة [1]

كما أستمد الفنان المصري في القديم مواضيع فنه من منطلق نظرية التوازن المستوحى من الطبيعة المصرية والتي كان فيها فيضان النيل والمسار اليومي للشمس فاعلا قويا.

إضافة إلى كل هذا اعتقاد الإنسان المصري القديم بمبدأ الإبدال والذي يتمحور حول العنصر الواحد يحل محل العنصر الأخر أعطى حافزا للفنان المصري بأن ينسج بخياله وما جادت به أنامله لتوفير كل ما يحتاجه المتوفى في العالم الآخر من أدوات وغذاء وآلات وما يســـتمتع به من هوايات و مناظر و أعمال يومية ملأت جدران المقابر[2].

4- تطور الطب والسحر:

اقتضت حياة الآخرة وتحقيق البعث وتأمين رحلة المتوفى استخدام السحر والتعاويذ والتمائم و التي كانت تتلى أو توضع مع المتوفى أو في جدران المقابر، وقد اعتبرت من الأساسيات والمسلمات التي تذلل للمتوفى الصعاب في ســـبيل تحقيق البعث والخلود كما أثرت فلســـفة الخلود على عملية العناية بالموتى هذه الأخيرة التي مر بمراحل تطورية كانت مزيجا بين الطبيعة والطب والسحر تجسدت في عملية التحنيط التي الهدف منها الحفاظ على الجسد بهدف تحقيق و إعادة بعثه في الحياة الأخر[3].

[1] حمدية كاظم روضان، لمرجع السابق، ص465.

[2] نفسه، ص467.

[3] سيد عويس، المرجع السابق، ص ص145،140.

الفصل الثاني

العالم الآخر في ثقافة مجتمع بلاد الرافدين

المبحث الأول: مفهوم العالم الآخـــر في ثقافة مجتمع بلاد الرافدين:

لقد تصور البابليون موطن الأرواح الذي تذهب إليه بعد الموت انه يقع ضمن هذه الأرض، تحت سطحها الظاهر، وهو العالم الأسفل، وقد وصفوه بأنه عالم مخيف بهيئة مدينة مسورة بسبعة أسوار يحرسها مردة الشياطين وسموه بأسماء مختلفة منها كيجال والأرض التي لا رجعة منها، (ارصـةلاتارى) وبالسـومرية (كورنوجي) وتسـكن في هذه المدينة وتحكم فيها آلهة شـديدة قاسـية هي ايرش كيجال (أي ملكة العالم الأسـفل) التي عرفت بأسماء أخرى مثل اللاتو» و «بعلة ارضـــيتم أي ســـيدة الأرض ويســـاعد هذه الآلهة في حكمها الأموات مجموعة من الآلهة والشـياطين والكتاب لتسـجيل الموتى، وقد اضـطربت آراء القوم عن حالة الموتى في هذا العالم ، ولكنهم اعتقدوا بوجه عام انه عالم مخيف يكاد يتســـاوى فيه الموتى ولا قيامة أو رجعة منه أي أنهم لم يعتقدوا بعالم آخر للثواب والعقاب أي لا جنة ولا نار عندهم كما في الأديان الأخرى ، ولكنهم كانوا يلطفون في بعض الأحايين من هذه الصورة القائمة حيث وردت في بعض ما ترهم ولاسيما في اللوح الثاني عشر من ملحمة جلجامش أن بعض الموتى من خلفوا الحسـنات والمآثر الصـالحة أو ممن مات عن أولاد ولاسـيما الذكور أو من قدمت له القرابين على الدوام يعيش في هذا العالم عيشـــا فيه بعض الراحة حيث يمنح الماء والطعام ، وتشـــير مأترهم إلى أنهم اعتقدوا بنوع من الحساب عندما تدخل الأرواح في عالم الأموات.[1]

لذلك فإن فكرة الحياة الأخرى بعد الموت تعتبر الموت عبوراً إلى مرحلة أخرى من الوجود تكون اســـتمرارا للحياة الدنيوية بشكل ما، وبهذا لا تمثل فكرة الحياة الأخرى نكرانا تاما لحقيقة الموت ولا يكون المقصود منها أكثر من تلطيف تلك الحقيقة والتخفيف من آثارها على الإنســـان لمنحه قدرا من الطمأنينة بوجه الموت عقائد ما بعد الموت.[2]

1-العالم الأسفل:

- كان العالم الأسـفل يمثل الطبقة الأخيرة تحت الأرض، وفوق سـقفه كانت تمتد مياه العمق، أي يشـكل تجويف هائل تحت الأرض.[3]
- حيث يطلق عليه باللّفظة السـومرية (Kur-Nu-Gi) تقابلها اللفظة الأكادية (Erst-La-Tari)، ومعناها الحرفي اللّا عودة.[4]

[1] طه باقر، المرجع السابق، ص ص 233،234.
[2] نائل حنون، المرجع السابق، ص43.
[3] نفسه، ص185.
[4] باسم محمد حبيب، حضارة بلاد الرافدين قضايا ودراسات في التاريخ والآثار، دار الحداثة للطباعة والنشر، بغداد،2022، ص13.

- لم يكن يسمح بعبور الموتى إلى النهر"حير" للوصول إلى الأسوار إلا بعد إنجاز الشعائر الجنائزية، وتقديم القرابين إلى آلهة العالم الأسفل.[1]

- تنتقل الأرواح إلى هذا العالم الموحش الكئيب حسب الميثولوجيا الرافدية بعد دفنها في القبر الذي يمثل فتحة مؤدية إلى العالم الأسفل، ولكن هذا لا يعني أنّ القبر هو البوابة الوحيدة التي توصل إلى عالم الأحياء وعالم الأموات، بل هناك بوابات أخرى توجد عند كل مدينة.[2]

- فبعد نهر"حير"يأتي السور الأول من أسوار العالم الأسفل، حيث يوجد فيه البوابة الأولى المسماة "تانزر" وتعني أتحرك، وبعد السور كانت تأتي الأسوار الستة الأخرى وكان في كل منها بوابة واحدة، وتقوم بحراسة كل بوابة من هذه البوابات إله خاص بها من آلهة العالم الأسفل الثانوية ويترأسهم إله"نيتي" أو"نيدو" الموكل بحراسة البوابة الأولى أيضا.

- ويوجد حول الأسوار السبعة القصر الذي يقيم فيه الآلهة "إيرش-كيكال" وعدد من أتباعها من الآلهة الصغرى والشياطين، وهذا ما نراه في أسطورة نزول إنانا"عشتار"إلى العالم الأسفل التي تروي قصة مرورها عبر البوابات السبع للعالم الأسفل ومن ثم وصولها إلى قصر أختها الآلهة"إيرش-كيكال" وهو مقر مشيّد من حجر الأزورد و يدعى قصر العدالة، وفي العالم الأسفل تحوم أرواح الموتى داخل أسواره.[3]

- والعالم الأسفل لا يختلف عن العالمين الأخريين (العالم العلوي والعالم الأرضي) من أنه منظم على شكل دولة يرأسه الإله "تركال" واسمه السومري الأصل (Na-Unu-Gal)، وزوجته"إيرشكيكال"(Eresh-Kucal) ويعاونهم سبعة من "الأتوتاكي" وسبعة من آلهة السماء المتبقين، إضافة إلى الجالا(Go-La)الذين يسمون بشبعمون الحرس أو الشرطة، ومهمتهم حفظ النظام في ذلك العالم ومن أوصافهم أنهم لا يعرفون الطعام و لا الماء، فهي لا تأكل طحينا مبثوثا، و لا تشرب ماءً مسكوباً، وكانت تأخذ الزوجة من حضن زوجها والطفل من صدر مرضعته وهؤلاء هم الذين رافقوا إنانا "عشتار" عند خروجها من العالم الأسفل للإتيان ببديل لها، وهم من قبضوا على روح الآلهة "دوموزي" بطلب منها.[4]

[1] نائل حنون، المرجع السابق، ص185.
[2] باسم محمد حبيب، المرجع السابق، ص13.
[3] نائل حنون، المرجع السابق، ص18.
[4] باسم محمد حبيب، المرجع السابق، ص14.

إضـافة إلى هذا يمكننا وصـف العالم السـفلي من خلال ملحمة جلجامش، ويتلخص حين أضـاع المطرقة والطبل الذين سـقطا في العالم السـفلي، بكى بسـبب ذلك وأراد صـديقه أنكيدو تعزيته والنزول إلى العالم السـفلي واسـترجاعهما، يقبل جلجامش بهذا العرض، و يوصـي أنكيدو باتخاذ الاحتياطات الضـرورية لكي لا يبقى سـجينا في ذلك العالم، ومنها : عدم ارتداء ألبسـة نظيفة أو الإمتسـاح بدهون معطرة، وعدم إحداث أي صـوت في العالم السـفلي و يوصـيه كذلك أن يتحاشـى تقبيل الزوجة المحبوبة أو يضـرب الزوجة المكروهة، وأن لا يقبل الابن المحبوب أو يضـرب الابن المكروه، وإذا خالف هذه التعليمات يحذره جلجامش بأن العالم السـفلي يقبض عليه وملكة العالم السفلي تسلط عليه غضبها، وتبقيه سجينا في عالمها المظلم.[1]

2-الموت والبعث:

- إن العلاقة بين الموت والخلود في المعتقدات العراقية القديمة توضـــح الفارق بين فكرة الخلود وفكرة الحياة الأخرى، حيث أن الخلود معناه العام يتضـمن نوع من الاسـتمرار الذي لا يتأثر بمرور الزمن، وقد اختلف مفهوم هذا الوجود بين الجماعات والشـــعوب المختلفة، هل هو وجود مادي متمثل بخلود الأفراد بحالتهم الطبيعية أو أنه خلود النفس الإنسـانية أو النوع الإنسـاني، أما فكرة الحياة الأخرى بعد الموت فتعتبر الموت عبور إلى مرحلة أخرى من الوجود يكون استمرار للحياة الدنيوية بشكل ما.[2]

- فالموت في معتقدهم ينقسـم إلى نوعان: موت البشـر وموت الآلهة، فموت الآلهة يعني الاختفاء ثم الظهور أو العودة كما كان يعني التحول إلى حالة أخرى نتيجة الذي لم يكن موتا، أما موت البشـــر ســـواءً كان ذلك بالإبادة الجماعية(الطوفان) أو العودة إلى الصـــلصـــال، أو بالموت الفردي وهو يثير أمامنا حتما موضوع مصير البشر بعد الموت كما صوره إنسان تلك الحضارة.[3]

[1] قاسم الشواف، ديوان الاساطير سومر أكاد اشور الموت والبعث والحياة الأبدية، الكتاب الرابع ، دارالساقي، ط1 ،2021، ص 183.
[2] نائل حنون، المرجع السابق، ص43.
[3] قاسم الشواف، المرجع السابق ،2001، ص18.

- كما ذكر في عقيدة موت الإله وقيامه من الموت من العقائد المهمة في الديانة العراقية القديمة وكان المعتقد بأن الإله الرئيسي في المدينة يواجه الموت لفترة معينة، ضمت الشعائر التي تقام في أعياد رأس السنة والتي تحدد فيها المصائر للسنة الجديدة، ثم يقوم مرة ثانية للحياة بعد أن يجري تحديد تلك المصائر والتي لم يكن تقديرها يستغرق أكثر من يوم أو يومين، وضمن هذا الموضوع نجد أن "مردوخ" إله "بابل" يؤسر سنويا لفترة من الزمن في العالم الأســـفل فيما يندبه الناس ويبحثون عنه كما يبحث عنه ابنه الإله "نبو" وزوجته الإله "**بيليت–يايلي**" وبالتالي يتمكن من الخلاص من سجنه .[1]

- أما العودة إلى الصلصال أو العودة إلى التراب بمعنى الموت، هو التعبير الذي أطلقته نصوص ما بين النهرين منذ أن اعتبرت أنّ البشر تمّ خلقهم من مادة الصلصال الذي نفخ فيها الإله نفس الحياة أو الصلصال الممزوج بدم الإله "**تيامت**[2]."

- معنى اعتقاد سكان وادي واد الرافدين القدماء بأن الإنسان كائن مركب من عنصرين أولهما حسي مادي هو الجسد، والثاني غير مرئي هو الروح.[3]

- ويتم انفصال الجسد عند حدوث الموت ويتحوّل إلى كائن آخر بطريقة غامضة، أشير إليها في ملحمة "جلجامش" ضمن حديث "**أنكيدو**" حين قصّ عليه رؤياه عن الموت أثناء مرضه:

[كانت السماء تُرعد فاستجابت لها الأرض

وكنت واقفاً وحدي .... فظهر أمامي مخلوق مخيف

مكفهر الوجه كان وجهه مثل الطير زو ومخالبه كأظافر النسر

لقد عراني من لباسي وأمسك بي بمخالبه وأخذ بخناقي حتى خمدت روحي][4].

[1] نائل حنون،المرجع السابق،ص68.
[2] قاسم الشوّاف، المرجع السابق، ص 23.
[3] نائل حنون، المرجع السابق، ص108.
[4] نفسه، ص111.

- أما بالنسبة للبعث فإن أول بعث تألف معه الإنسان ما بين النهرين هو بعث الطبيعة وخضرة الربيع، بعد موت الأرض أو نومها خلال فصل الشتاء، وقد عرف كذلك انبعاث حبة القمح التي دفنها بنفسه خلف المحراث،، وماتت هي أيضا لتبعث من جديد في أعجوبة إتيان وتملأ إهراءات سومر وأكاد، حيث تنبت الأرض عشبها وتكتسي به المراعي والسهوب ويبتهج القطيع ويمرح ويترافق دبوب الحيوية في نسغ الجبور والأغصان، ومع التساقط والنزول بين عناصر القطيع الذي يتكاثر في الزرائب والحضائر فتطفح مخضّات الرعاة بالحليب والسمن.[1]

- أما عن قيامة الإله في معتقدات سكان وادي الرافدين القدماء فذكرت بأن أهم الإلهة هي إله"إنانا " (عشتار) التي اشتهر موضوع نزولها إلى العالم الأسفل وموتها فيه، ثم إنقاذها منه بيد بير من الإله" إيا " (أنكي) وكذلك " مردوخ " و " داموا "، واتضح لنا أن قيامة تلك الآلهة من الموت كانت تحتل ركنا مهما من أركان الديانة العراقية القديمة، هذا فيما يخص الآلهة، أما بالنسبة للبشر فإنه لا يوجد نصوص مسمارية تثبت وجود الاعتقاد بقيامهم وبعثهم من الموت إلاّ في صورة أشباح مستقلة عن الجسد، وقد بان المغزى من موتهم وقيامتهم في حين اتضح لنا أن قيامة تلك الآلهة من الموت كانت تحتل هي أيضا ركنا مهما من أركان الديانة العراقية القديمة، بالرغم من وجود نصوص مسمارية قديمة الألقاب وتعابير متعددة تشير ضمنيا إلى إمكانية إعادة الحياة للموتى مثل (محي الأموات) أو(الذي يعيد الموتى للحياة)، وهو ما تكرر في الأدعية البابلية والتعاويذ .[2]

[1] قاسم الشوّاف، المرجع السابق، ص 29.

[2] نائل حنون، المرجع السابق، ص ص 129،130.

المبحث الثاني: مقومات العالم الآخر في ثقافة مجتمع بلاد الرافدين:

مثّل الموت في معتقد الإنسان الرافدين، القدر المحتوم الذي حرمه الحياة الأبدية وبحثه على سر الخلود، إلا أنه لم يصل إلى مبتغاه وقرر العمل من أجل أن يصل إلى طول العمر والحياة السعيدة، لكن سيأتي يوم الممات الذي تنفصل فيه الروح عن الجسد، فبلى هذا الأخير في التراب، وتنزل الروح إلى العالم الأسفل دون رجعة، وعليه اهتم بإقامة طقوس جنائزية من بناء القبر إلى تقديم القرابين ووضع الأثاث وغيرها، هذا من أجل أن تنعم أرواح الموتى بالهدوء، ولا تزعج الأحياء في العالم الدنيوي.[1]

1- القبور وطرق الدفن:

لقد تميز عصر السلالات بنمو العمران واتساع تجمعاته، وازدهار الزراعة واتساع التجارة الخارجية، وبرزت حضارة اتسمت ببناء مجتمع بشري ذي عقيدة دينية لها طقوسها ومراسمها، ومن هنا كان بناء القبور جزءاً مهماً من حياة المجتمع الرافدي، ومع مرور الزمن وتطور حاجات الإنسان وبناء الحضارة في العراق القديم واستخدام مواد وأدوات العمران، حيث اعتمدت أساليب في بناء المقابر لدفن موتاهم حفاظا عليهم مما جعل خصوصية في طرق دفن الأموات.[2]

ولذلك سنتطرق إلى النقاط التالية:

1-1 تهيئة القبر:

لم تكن شعائر الدفن مرحلة انتقالية من حيث محتواها فقط، بل من حيث تنظيمها المكاني أيضا، بل اعتبر الإنسان الرافدين هذا الطريق الأخير من البناء إلى المقبرة بمثابة مدخل للعالم الأسفل، وكان القبر هو المكان الذي امتدت منه الدروب إلى العوالم كلها، لذلك كانت مواقع الدفن تمثل في كثير من الأحيان نموذجا عن ذلك العالم(عالم ما بعد الموت) الذي كان بالنسبة للإنسان المصري القديم عالم الخلود الأبدي، وبالنسبة للرافدي عالم يتلاشى فيه الجسد دون رجعة، وانعكست النظرية هذه المتشابهة على أهمية القبر بالنسبة له هذا المكان الذي أطلق عليه لفظ (كي-ماخ) في اللغة السومرية وتعني الأرض العظيمة وكذا "قبرو" وهي كلمة أكادية، فكان لابد اتخاذ طريقة لهذا الأمر الذي هو بناء المقابر للموتى ونقلهم للعالم السفلي استخدمت للدلالة عليه، ومصطلح "تشو" "وخرو"، كلاهما في الأصل تعني حفرة[3].

[1] ليلي بومريش، الشعائر الجنائزية في بلاد الرافدين، مجلّة قبَس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج4، ع1، جامعة الجزائر2، ص 657.
[2] متنعمي نعمة عودة حسن، المقابر في العراق القديم، مجلة الأستاذ، ص 331.
[3] ليلي بومريش، المرجع السابق، ص 659.

2-1 وضع الجثة واتجاهها في القبر:

أن نتائج التنقيبات التي جرت في مواقع عديدة من بلاد وادي الرافدين تشير بوضوح إلى عدم التزام سكان البلاد القدماء بقاعدة محددة لوضع الجنة في القبر أو لا تجاهها، ففي تل الصوان من دور حسونة مثلا كانت الوضعية الغالبة التي تدفن عليها الجثث هي القرفصاء وكان اتجاه الرأس عموماً إما إلى الجنوب أو إلى الغرب إضافة إلى عدد من الهياكل موجهة إلى الشرق [1].

أما الاتجاه السائد للهياكل الموجودة في القبور و وضعية الجثة فتشير إلى عدم التزام سكان بلاد الرافدين بقاعدة محددة لوضع الجثة في القبر أو لاتجاهها، فالغاية من الدفن المساعدة على نزول الروح إلى العالم السفلي أينما كانت منطقة موتها، ولذلك يمكن أن يوجه القبر نحو أي اتجاه ويمكن أن تكون الجثة في داخله بأية وضعية، فنوعية الشعائر الجنائزية التي ستقام للميت، إن كانت فخمة أو عادية، أو كيف سيكون الحضور كبيرا أو قليلا، هل يودعون الميت في جو تسوده المشاعر الصادقة الحزينة على فراقه أو غيرها يتحكم فيها الوضع الاجتماعي والاقتصادي لعائلة المتوفى.

إضافة إلى ذلك استعملت شواهد القبور المدونة بالخط المسماري للدلالة على القبور والإعلام عنها وعن الأشخاص المدفونين فيها، إلى جانب حماية القبر ومحتوياته من عبث العابثين وتحذيرهم من انتهاك حرمته، وقد وجدت هذه العبارات على أحد الشواهد : " للأبد، بتوالي الأيام، على الدوام في الأيام المقبلة، عسى من يرى هذا القبر أن لا ينتهك حرمته، ولكن يعيده إلى مثل ما كان عليه، إن الشخص الذي يرى هذه الكتابة ولا يستخف بها، بل يقول: سأعيد هذا القبر إلى مثل ما كان عليه، عسى أن يعود عليه بالخير العمل الذي يعمله عسى أن يبجل اسمه على:

1- الأرض، عسى أن تشرب روحه الماء النقي في العالم السفلي.

2- من هذه الكلمات نلاحظ مدى خوف سكان بلاد الرافدين من عملية نبش القبور لأنها تزعج أرواح الموتى في العالم الأسفل، وتقودهم إلى الصعود إلى عالم الأحياء لتهاجمهم، والأمثلة عديدة حول هذه المسألة.[2]

[1] نائل حنون، نفس المرجع، ص 442.

[2] ليلى بومريش، المرجع السابق، ص ص، 662،661.

3-1 تطور بناء القبور:

لقد مر بناء القبر بعدة تغييرات، وكشفت أعمال التنقيب الأثرية عن الكثير من المدافن والمقابر، حيث تعود عملية دفن الموتى إلى العصور الحجرية (العصر الحجري الوسيط) والعصر الحجري الحديث، وامتلك بذلك الإنسان الرافدي المشاعر الإنسانية المتعلقة باحترام الأموات والاهتمام بطقوس الدفن من خلال ما تركه على جدران كهوفه التي سكن فيها ، فقد عثر في كيش وأور على قبور تحوي العديد من مخلفات مراسم الدفن، كما احتوت قبور عصر العبيد وأوروك وجمده نصر على بعض الأثاث المأتمي من الخزف المطلي، والتماثيل من الطين المشوي والأختام الأسطوانية، وعثر في القسم الجنوبي الغربي الحرم المعبد على مقبرة في أور تحوي على قرابة الألفي مدفن، ترجع إلى حوالي الألف الثالث قبل الميلاد، أطلق عليها اسم "المقبرة الملكية ".

وعليه فإن الدافع الرئيسي للدفن تحت أرضيات البيوت هو أن الموت لا يعتبر نهاية الإنسان حسب اعتقاد الأسرة في بلاد الرافدين، وإنما يُعبر عن الاستمرارية في اعتبار المتوفى عضو في العائلة لا ينبغي له الإبتعاد عنها حتى بعد وفاته، هذا إضافة إلى ضمان المحافظة على الجثة من التخريب والعبث وبالتالي إزعاج روح المتوفى في العالم السفلي.

كما عرفوا الدفن في القصور، وكان هذا إمتياز خاص بالملوك الشرعيين فقط، وقد مورس هذا التقليد أيضا في بلاد أشور الذين دفنوا ملوكهم في القصر الملكي القائم في العاصمة أشور حتى بعد انتقال مقر حكمهم من هذه العاصمة إلى نينوى، كما شيد بعض الملوك منهم ملوك سلالة أور الثالثة أضرحة مستقلة بها مزارات خاصة تحتوي على العديد من الغرف كانت تمارس بها الشعائر الجنائزية وتقدم بها النذور لهم أما عملية الدفن في المقابر العامة فكانت تقام في مقبرة كبيرة خارج مناطق سكناهم، والتي تغير شكلها مع العصور، وهكذا كانت القبور مغلقة، عهد بها إلى أشخاص مرتبطين بالمعبد وكانوا يتقاضون مقابل عملية الدفن أجورا ربما تكون باهظة أحيانا، حيث وردت بعض الإشارات في القوانين الرافدية القديمة ومنها إصلاحات أوركاجينا سنة 2355 ق.م، إلى تلك الأجور ومحاولة تخفيضها، إذ كانت الأجور تؤخذ على الدفن وعلى الأرض التي كانت تدفن فيها الجثة، حيث يسرد من هذه الإصلاحات تكاليف عملية الدفن ومحاولة أوركاجينا التخفيف منها ، إذ تذكر: "لقد كانت جعة الذي يأتي بالميت إلى المقبرة لدفنه سبعة أباريق وأربعمائة وعشرين رغيفا من الخبز، فضلا عن واحد أول UI (وزن) من شعير نوع (حازي) ورداء ومسند رأس واحد وسرير واحد".[1]

[1] ليلى بومريش، المرجع السابق، ص 668.

2-الأثاث الجنائزية والقرابين:

2-1 الأثاث الجنائزية:

اعتاد سكان وادي الرافدين دفن العديد من الحاجيات واللوازم والحلي والأسلحة مع الموتى، فمفهوم التجهيزات الجنائزية لم يكن عادة معينة تقتضيها العقيدة الدينية بدفنها مع الأموات فهي عبارة عن مواد وأثاث كان الإنسان يستعملها في الحياة الدنيا.[1]

ومن هنا فقد أسفرت التنقيبات في المواقع الأثرية المختلفة في بلاد وادي الرافدين، عن كميات كبيرة موضوعة من المواد التي يمكن تسميتها بالأثاث الجنائزي لكونها أستخرجت من القبور المنقبة في تلك المواقع منذ ظهور أول مستوطن قروي في شمال العراق وهو قرية (زاوي-جمى)، دُفن الأثاث الجنائزي مع موتاهم ففي أحد القبور العائدة فتاة وجدت مُغرة حمراء وقلادة من خرز صغير، ووجدوا في آخر سكين من الصوان مثبت بالقبر في قبضة طويلة من العظم، كما وجدت معالم ذكاك صغير من الأحجار وضع البعض منها على هيئة قوس يشبه جدار السور المقدس الذي عثر عليه في قرية (زاوي-جمى)، وكل هذا يشير إلى نوع من الشعائر الخاصة بالدفن بمعتقدات أقدم سكان، أما عن القبور المكتشفة في (زاوي-جمى) فلوحظ أن عادة الدفن الجارية لدفن الموتى في القبور المؤرخة في العصر الأكادي، أما عن القبور المكتشفة في(كيش) فقد كانت نوعية الأثاث الجنائزي قيمة تختلفان من قبر لآخر بخلاف مكانة الشخص المتوفى، كان معظم الموتى يزودون بحاجياتهم الشخصية وبعض الأشياء الضرورية .[2]

[1] ليلى بومريش، المرجع السابق، ص 668.

[2] نائل حنون، المرجع السابق، ص ص246،248.

2-2 القرابين:

إن المعالجة الوحيدة للجثة هي الدفن، فكانت عملية وضع الجسد في التراب مناسبة لـ عودته إلى الطين"، لأنه حسب الأساطير الرافدية خلق الإنسان من الطين، وبعد وفاته يدفن في الطين أيضا، حسب إرادة مبدعه أنكي – أيا لأنه هو من قال بفكرة خلق الإنسان، وعدم دفن هذا الجسد يؤدي إلى سقوط الإنسان في "العدم"، لكن فكرة العدم غير مقبولة كثيرا، بمعنى أن التلاشي في الهاوية يمثل انعدام الأمل، وفي نفس الوقت العالم السفلي لا يمثل العدم، بل إنه عالم مظلم كئيب، يقطنه الموتى، ويمكنهم العيش في هدوء إذا أقيمت من أجلهم القرابين وتتضمن هذه القرابين السومرية ثلاث وسائل لتهدئة روح الميت عن طريق:

أ- طقس كسبا: هو طقس تقديم الطعام على روح الميت حيث تذبح الخراف وتقدم الزيوت والعطور والبخور والنبيذ الأبيض والفاكهة، وكانت التقاليد تقضي بفرش مائدة و يترك مقعد واحد فارغ لروح الميت الذي أقيمت الوليمة لأجله، وكان هذا المقعد يسمى بالسومرية كرسي الروح (كش كوزاديما) ويسمى بالأكدية (كسو اطيمو).

وبصفة خاصة كانت الأسرة تقيم في نهاية كل شهر، لحظة اختفاء القمر وموته، وجبة خاصة من أجل تأكيد وتقوية التضامن الأسري: الموتى يدعون بالضرورة أقصد أنه يحتفظ لهم بحصتهم التي تدعى كيسبو، وهو اسم يتعلق بتقاسم الطعام نفسه، الموزع بهذه الطريقة على الجميع.

ب- طقس ألمي نقو: أي طقس سكب الماء لإرواء ظمأ الميت، وكان يتم برش الماء على تراب الميت وعن طريق أنبوب فخاري ينزل إلى القبر 35متر، فقد عثر في أحد الأبنية العائدة إلى الملك السومري "شولكي"، من ملوك سلالة أور الثالثة أنابيب فخارية تحت الأرض إلى الأسفل بصورة عمودية، كما عثر في الأضرحة الخاصة بالملوك ، ويبدو أن الماء الذي يعد أساس الحياة كان من على منافذ خاصة لهذا الغرض أهم القرابين التي من الممكن أن تقدم للآلهة، إذ نجد أن أولى القرابين التي قدمها أوتونا بشتم للآلهة، كان الماء الذي سكبه للآلهة على قمة الجبل، إذ يرد في النص:

[وسكبت الماء المقدس على قمة الجبل ونصبت سبعة قدور

وكومت تحتها القصب والأرز والآسلقشم الآلهة الرائحة

أجل لقد شم الآلهة الرائحة الطيبة][1]

[1] نائل حنون، المرجع السابق، ص248.

ج –طقس شومازكارو: أي ذكر الاسم، حيث يتم تطمين روح الميت بذكر اسمه دائما لإشعاره بأنه ما زال موجودا بينهم، أو بإطلاق اسمه على مولود جديد.

وكل هذه الشعائر وتقديم القرابين الجنائزيةو إطعام أرواح الموتى وإرواء أرواحهم الظمأى في العالم السفلي دائمة التأكيد حيث أن الميت الذي لم يكن له من يُعنى بإقامة شعائره الجنائزية، كانت روحه تعاني معاناة قاسية في العالم السفلي وهذا ما يشير إليه اللوح 12 من ملحمة جلجامش.

قال جلجامش لأنكيدو:

[قل لي يا صديقي خبرني عن نظام الأرض التي شاهدت؟

.... عندئذ قال الملك جلجامش وهو وجالس على التراب

هل رأيت الذي أنجب ولدا واحدا؟.... نعم رأيته: إنه يبكي عليه ... . هل رأيت الذي أنجب ثلاث أولاد؟ .....نعم رأيته ... يشرب الماء.

... هل رأيت الذي أنجب أربعة نعم ... إن قلبه فرح.][1]

وعليه مسألة الإنجاب وكثرة المواليد عند سكان بلاد الرافدين مهمة جدا، لأن الأبناء هم من سيقدمون القرابين لهم، فكثرتهم تعد مفخرة للأسرة، ومن ليس لدية أبناء يقوم بالتبني، وهذا ما يتضح من نصوص عدد من وثائق التبني المدونة باللغة الأكادية والتي تجعل أيضا من مسألة تقديم القرابين الجنائزية شرطا لازما من المتبنى، ومن هذه الوثائق واحدة تتضمن شرط امرأة لفتاة تبنتها ينص على ما يلي: " في حياتي تقومين بإطعامي، وحين أموت عليك أن تقدمي من أجلي القرابين الجنائزية"، كما ورد في خطاب امرأة اسمها (nun-naditum): "لقد ربيت ولدًا واحدا وفكرت ليكبر حتى يتمكن من دفني" هذه ليست ظاهرة محددة للفترة معينة، بل نجد في التنقيبات التي تعود إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد، عقد التبني مذكور فيه: "طالما يعيش باي تيشوبPaiTessup)، كيني Kinni) سوف تخدمه. عندما يموت (PaiTessup)، سوف تبكي كيني وتدفنه".[2]

[1] ليلى بومريش، المرجع السابق، ص 671.

[2] نفسه، ص ص 666،668.

حيث كانت تلك الشعائر تتضمن تقديم الهدايا والقرابين إليهم كما هو واضح، فإن إرضاء الآلهة يؤدي بالتالي إلى ضمان حسن معاملتهم بروح الميت، الذي يأخذ الهدايا معه إلى العالم الأسفل ليقدمها إلى روح الآلهة الموجودة فيه، وهو ما فعله " **جلجامش**" بعد نزوله إلى ذلك العالم كما روى في أسطورة موت **جلجامش**، حيث قدم الهدايا التي اصطحبها معه إلى كل من الإله "بيرشكيكال "، " عشتار " و "دميكك" و "نيتي" و " رتنكشزايد" و "ديموزي" و "دنكي" وغيرهم، وكذلك بعض الموتى المهمين من الآلهة الكبار، حيث قدم الهدايا إلى كل من الـ(سانكو) والـ(ماخو)، وكاهنةالـ(إيتو)، كما أن الملك السومري (أور–نمو) ، قدم بعد موته ونزوله إلى العالم الأسفل الهدايا إلى عدد من آلهة العالم الأسفل كما روى في نص موت(أور–نمو)، كما أنه ذبح الثيران والأغنام إلى الموتى الكبار، وقدم الأسلحة والحقائب الجلدية والآتية والملابس والحلي والأحجار الكريمة.[1]

ويمكن تقسيم الشعائر الجنائزية بحسب مواعيد إقامتها إلى نوعين:

- **النوع الأول:**

بعد حدوث الموت مباشرة وشعائره تختلف حسب مكانة الشخص ومنزلته الاجتماعية،كأن تكون قصيرة وبسيطة للفقراء وذوي المكانة الدنيا في المجتمع، ولكنها كانت أكبر فخامة وتستغرق وقتا للميسورين.[2]

- **النوع الثاني:**

وتشمل الطقوس التي كانت تقام في أوقات محددة ومختلفة لفترة طويلة بعد موت الشخص، إذ لم يقتصر تزويد الميت بالطعام والشراب على وقت الدفن، وإنما يستمر بعد الدفن أيضا، ويتميز هذا النوع من الطقوس الجنائزية بأن الغالب فيه هو إقامته لمجموعة من أرواح الموتى في العائلة الواحدة.[3]

[1] نائل حنون، المرجع السابق، ص275.

[2] ليلي بومريش، المرجع السابق، ص 667.

[3] نائل حنون، المرجع السابق، ص226.

كانت الشعائر تؤدى في مواعيد معينة، وبعد موت الشخص يوجد:

– الموعد الشهري: بعد شهر من وفاة الميت في اليوم التاسع والعشرين من الشهر، حيث يكون القمر في المحاق ويعتقد بأنه يوم يجتمع فيه أرواح الموتى في العالم السفلي، ويتوجب فيه على الأحياء أن يقدموا لأجله القرابين "يوم" تسكب الماء إلى أرواح الموتى.

– الموعد السنوي: فكان في شهر آب، وهو الشهر الخامس في السنة البابلية التي كانت تبدأ من نيسان،و كانت القرابين تقدم لأرواح الموتى في ذلك الشهر، وترفع المشاعل من أجلها، وقد اعتبر اليوم التاسع من شهر آب يوم خاص فيما له علاقة بالشعائر الجنائزية.[1]

حيث يُشار أنّ أرواح الموتى تختنق من احتجازها في العالم الأسفل، وهذا مُشار إليه في الرسائل الملكية المتعلقة في الطقوس المقامة لأرواح الموتى في شهر آب، ومن بينها رسالة من الملك "عمى–بنانا"تاسع ملك من السلالة البابلية الأولى.[2]

إلى أحد أتباعه من حكام الولايات يقول:

[يجب تجهيز كميات الحليب والزبدة الخاصة بالقرابين الجنائزية للشهر آب، حالما تقرأ الوحي هذا، دع رجلا من أتباعك يهنّئ ثلاثين بقوة ومكيال "بي واحد من الزبدة، ويأتي بها إلى بابل، ويبقى فيها حتى يكتمل الطقوس الجنائزية، دعه يهنئ الحليب من دون تأخير، وليأتي على عجل][3].

[1] ليلى بومريش، المرجع السابق، ص 667.

[2] ملحمة جلجامش "النص المسماري مع قصة موت جلجامش والتحليل اللغوي للنص الأكدي"، تر نائل حنون، دار الخريف للنشر والتوزيع ،ط1،2006،ص 20.

[3] نائل حنون، المرجع السابق، ص ص288،289.

المبحث الثالث: أهم النصوص الدينية التي تكلّمت عن العالم الآخر في بلاد الرافدين:

1- ملحمة جلجامش:

هي ملحمة سومرية مكتوبة بخط مسماري على 11 لوحا طينيا اكتشفت لأول مرة عام 1853في موقع أثري اكتشف بالصدفة وعرف فيما بعد أنه كان المكتبة الشخصية للملك الآشوري"آشور بانيبال" في نينوى بالعراق، ويحتفظ بالألواح الطينية التي كتبت عليها الملحمة في المتحف البريطاني.

والألواح مكتوبة باللغة الاكادية ويحمل في نهايته توقيعا لشخص اسمه"شين ئيقي ئونيني"الذي يتصور البعض أنه كاتب الملحمة التي يعتبرها البعض أقدم قصة كتبها الإنسان.[1]

وتعتبر ملحمة جلجامش، أهم وأكمل عمل إبداعي أسطوري شعري كتبت سطوره منذ العهد السومري في المرحلة الواقعة بين (2750ق م ، 2350 ق م)عن الملك جلجامش الذي عاش في مدينة أوروك الواقعة في بلاد الرافدين على الضفة الشرقية لنهر الفرات.[2]

وقد تشكلت حول شخصه باقة من الحكايات الأسطورية والبطولية الت تسرد أخبار اعماله الخارقة، وسعيه المستميت الى معرفة سر الحياة الخالدة، ولقد تطورت هذه الملحمة في إبداعات شعرية كتبت على الرقم الكتابية المسمارية منذ العهد السومري، ثم تلتها محاولات في العهود الأكادية والبابلية.

وكان ظهورها بشكل كامل في نهاية الألف الثاني قبل الميلاد وهي الصيغة التي كشفتها اعمال التنقيب الأثري من مكتبة "آشور بانيبال"في مكتبة نينوى[3].

[1] حنان بوذينة، الشخصية في ملحمة جلجامش"مقاربة سيميائية"، مذكرة مكملة لنيل شهادة الليسانس، كلية الآداب واللغات، جامعة البويرة،2022، ص14.

[2] فراس السواح،كنوز الأعماق قراءة في ملحمة جلجامش، العربي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق،ط1،1987،ص33.

[3] نفسه، ص33.

لقد مزجت هذه الملحمة الحقيقي بالأســـطوري والواقع بالخيال وكانت واقعيتها مزخرفة بالحكمة وخيالها تغلب عليه الرمزية، فهي واقعية من حيث تناول الإنسان حياة وموتا، وهي رمزية لأن أحداثه المفرطة ذات دلالات عميقة وأسطورتها ذات مرام بعيدة ترمز إجمالا إلى هدم الإنسان للحواجز التي تعيق تواصله مع أخيه الإنسان، وإلى الصراع بين الخير والشر.

بعد ســـنوات تم العثور على لوحة أخرى يعتبرها البعض تكملة للملحمة فكانت بذلك اللوح 12، وقد تم ترجمة الملحمة الى الإنجليزية عام 1870من قبل عالم الآثار "جورج سميث"[1].

وتعد ملحمة جلجامش من أبرز الآثار التي تحدث عنها الباحثون بكثرة وحاولوا مقارنتها بالملاحم الإغريقية القديمة، ومع أن هذه الملحمة قد دونت قبل 4000عام، وترجع حقبة حوادثها إلى أزمان أخرى أبعد، فإنها مثل الآداب العالمية الشـهيرة، ماتزال خالدة وذات جاذبية إنســانية هامة في جميع الأزمان والأمكنة، لأن القضــايا التي عالجتها لاتزال تشـــغل بال الإنســـان وتفكيره، وتؤثر في حياته العاطفية والفكرية مما جعل مواقفها وحوادثها مثيرة تأسـر القلوب، كما عالجت قضـايا إنسـانية عامة، كمشـكلة الحياة والموت وما بعد الموت والخلود وغيرها، ومثلت تمثيلا مؤثرا بارعا ذلك الصـــراع الأزلي بين الموت والزوال المقدرين بين إرادة الإنســـان المغلوبة والمقهورة في محاولتها التشبث بالوجود والبقاء.[2]

[1] فراس السواح، المرجع السابق، ص35.

[2] حنان بوذينة، المرجع السابق، ص16.

2-نص نزول إنانا الى العالم السفلي:

هو نص قديم مكتوب باللّغة الأكدية القديمة، عثر عليه في المكتبة الملكية " آشور-بنيبعل " في نينوى في التنقيبات الأثرية في بلاد الرافدين، وحجم هذه النسخة الأكدية مائة وأربعون سطرا وهذا هو النص المتعارف عليه بالنص البابلي. أما النص السومري وهو النص الأصلي والأقدم، والذي يحمل عنوان "هبوط إنانا إلى العالم الأسفل"، فيتألف من أربعمائة وعشرة أسطر، وإلى الآن هناك إشكال واسع في فهم القصة الأصلية، نظرا للألواح المهمشة والاكتشافات الجديدة.

وإنانا هي الآلهة السومرية التي تختص بالحب والجمال، وعشتار هي الآلهة البابلية، وتكمن أهمية إنانا(عشتار) في كونها آلهة الخصب، والخصب هو أهم مرتكز في حياة الإنسان القديم، ومن هنا كانت قداستها، وبالتالي كانت للملحمة مكانتها الأمر الذي جعل السومريين والبابليين القدماء يستعيدونها سنويا عبر الطقوس.

وملخص الأسطورة في كلا النسختين البابلية والسومرية، أن تمّوز "دميوزي "إله الخصب الذي كان ملكا على أروك تزوج من الإلهة إنانا، مات وهبط إلى العالم السفلي الذي لا عودة منه، وحين بحثت عنه حبيبته بغير جدوى، أيقنت أنه في عالم الموت، فذهبت تبحث عنه في عالم الموت، لكن "أرشكيجال" " آلهة العالم السفلي "، وشقيقة الألهة إنانا ، تقرر أن تلقي على شقيقها الموت، وأن لا تعود إلى الحياة، فتجردها من ملابسها وحليها وأقراطها و تاجها، وتجعلها تجتاز أبواب العالم السفلي السبعة، فتموت بذلك كل مظاهر الخصب والنماء فتذبل الخضرة وتصفر الغابات وعندما يصل الخبر الآلهة الكبار، يخلقون رجلا جميلا يرسلونه إلى عالم الأموات بدلا من آلهة الخصب، ويخلقون وحشين يرشان ماء الحياة على جثة إنانا، فتفتتن "أرشكيجال" بالرجل الجميل وتخرج إنانا إلى الحياة بدلا منه لتعود مرة أخرى مظاهر الخصب والنماء إلى الطبيعة .

وتمثل هذه الواقعة البعث الذي يعبر عن الموت الموسمي للنبات والإنبات من جديد في فصل الربيع.

ويرجح أن السومريين والبابليين القدماء، ربما أوجدوا هذه الأسطورة ليصفوا من خلالها عالم الأموات حيث أن الأسطورة بتفاصيلها جعلت الإنسان القديم يخفف عنه شيئا من رهبة الموت.[1]

[1] نعامنة محمود محمد، من إينوما إيليش إلى ملحمة جلجامش (أساطير من بلاد الرافدين السومرية والبابلية تفاصيل جديدة أهملها الميثولوجيون)، مجلة المجمع، ع8، 2014، ص ص 247، 250.

المبحث الرابع: أثـــر العالم الآخـــر في ثقافة مجتمع بلاد الرافدين:

أولا- يفهم هذا الأثر من خلال الكيفية التي يعبر بها أقارب الموتى ومعارفهم في بلاد الرافدين القديم عن أحزانهم ومشـــاعرهم نحو الميت وكذلك الحالة التي تصـــبح عليها المدينة أو المجتمع بعد موت الملك أو أحد أفراد الأسـرة الحاكمة أو الشـخصـيات الهامة فهو يوضـح فهم الفرض للموت من خلال التعبير عن المشـاعر نحو المتوفي وذويه، وإذا كان الحداد عاملا مساهما في تخفيف الحزن وتخفيف التوتر الذي يغمرهم.

ثانيا – وبالنسـبة للمتوفى يعتبر الحزن الحاصـل بعده أمرا يبعث على طمأنته للفرد إزاء الموت،وهذا يظهر من خلال إقامة الطقوس الجنائزية خاصة طقس ذكرالاسم).

ثالثا- الراحة التي تمنح للموتى في اعتقادهم من قبل الأحياء في مراســـيمهم، ونلمس ذلك في تخفيف حدة أثر الموت في نفس الإنسان كما ورد في ملحمة جلجامش وهو يهدئ من روع (أنكيدو)حين مرض.

الفصل الثالث

الدراسة المقارنة للعالم الآخر في ثقافة مجتمعي مصر القديمة وبلاد الرافدين

(من خلال النصوص: كتاب الموتى وملحمة جلجامش)

المبحث الأول:أوجه التشابه

1- السعي وراء الخلود:

سعى الإنسان في كلا الحضارتين نحو الخلود خلال سيرته العامة في الدنيا وإمكانية عمل الأشياء التي تنفع الإنسان وتخلد ذكراه ففي مصر ومن خلال ما ورد في كتاب الموتى الخلود يكمن في إعطاء قيمة للحياة، والاستفادة من عمره على أحسن وجه لتحقيق النفع له وللإنسانية. [1]

أمّا عن سعي جلجامش لنيل الخلود فتجسد في بحثه عن الخلود في عبره لنهر الموت ولقاء "أوتنا بشتم" الإنسان الوحيد الذي نجى من الطوفان العظيم ونال الخلود والذي يكشف له سرا يمنح الخلود لمن يتناوله فينجح في ذلك إلا انه سرعان ما يضيع منه وتنتهي رحلة سعيه للخلود، فسار عائدا محبطا إلى أن تراءت له أسوار مدينته العظيمة التي بناها ويتفطن أن الخلود الحقيقي لا يكمن في الحياة الأبدية بل أن الخلود الحقيقي في إنجاز الأعمال العظيمة وترك أثر ايجابي يضل خالدا.[2]

2-أهوال العالم السفلي:

من خلال دراستنا للعالم الآخر في كلتا الحضارتين فإن الرحلة في العالم السفلى تبدأ بالموت الجسدي والدفن في القبر و للانتقال إلى العالم الآخر يجب تجاوز الكثير من الصعاب تتوزع عبر مراحل حيث من خلال ما نتج عن عدم التزام أنكيدو بوصايا جلجامش أثناء نزوله إلى العالم السفلي يذكر:"فغلبه صراخ العالم الأسفل"ونجد تعبيرا آخر عن أهوال العالم السفلي في قول صديق جلجامش عندما طلب منه أن يقص عليه أحوال العالم السفلي حيث رد عليه: "لن أقص عليك أحوال العالم السفلي يا صديقي و إذا كان لا بد من إخبارك بها فسيتحتم عليك أن تجلس وتبكي" وربما كانت هذه الرمزية دلالة أنه يستحيل على حتى من استطاع قتل الثور السماوي أن يتغلب على أهوالها وإنما عليه الالتزام بالشروط فقط .[3]

---

[1] حمدية كاضم روضان، المرجع السابق، ص488.

[2] فراس السواح، المرجع السابق، ص280.

[3] ناجح المعموري، المسكوت عنه في ملحمة جلجامش، دار المدى للإعلام والثقافة، بغداد، ط1،2014، ص105.

أما في كتاب الموتى فكان يطلق على الطريق الذي يسلكه المتوفى للوصول إلى حقل السعادة "برستاو " وهو طريق طويل وشاق ومليء بالعقبات والمخاطر شأنه شأن العالم السفلى في بلاد الرافدين ونستدل على ذلك من خلال ما ورد في الفصل (43) والذي يتضمن عدم السماح لرأس المرء أن تقطع منه في العالم السفلي إضافة إلى ما ذكر عن أسماء القضاة الموجودين في قاعة الماعت مثل «ملتهمه الأحشاء، مهشم العظام، ملتهمه الدماء، ... إلخ وما ورد في النص الأول من الظهور في النهار"...لقد رأيت الأشياء المخيفة في رستاو..."[1]

ومن خلال المعنى العام والواضح لهذه التسميات نستخلص أن هذا المسار والذي يتوجب عليه عبوره وللنجاح في ذلك يتوجب عليه الإلمام بمتطلباته.

3-أهمية النور في كلتا الثقافتين:

من خلال ما ورد سابقا في هذه الدراسة نجد أن هناك اتفاق حول أهمية النور في عالم الموتى ففي الثقافة المصرية القديمة ومن خلال كتاب الموتى نجد النور يتجلى في الشمس من خلال الرحلة الشمسية التي يقوم بها الإله رع عند مغيبها في امتنت لتضيء عالم الموتى فيستقبلونها بالحمد ناهيك عما ورد في الفصل (80) والذي يتمحور نصه حول التحول إلى الإله الذي يمنح الضوء في الظلام[2].

إضافه إلى تصور الخروج في النهار هذه الفكرة التي أضاءت عقيدة الموتى في الدولة الحديثه وذلك من خلال عنوان بردية آني (الخروج في النهار) وهي ترمز إلى الخروج والنعيم في العالم الأخر وذلك من خلال الإمداد بالقرابين و الترانيم الموجهة لإله البعث أوزيريس[3].

أما فيما يخص بلاد الرافدين ومن خلال ملحمة جلجامش فنستنتج ذلك من خلال تكرار كلمه "الظلام الظلمه، دار الظلمه، يعيشون في ظلام لا يرون نورا".

وهنا تكرار المصطلح يؤكد رفضه كوصف للعالم السفلي ويدل هذا على أن كل من انكيدو وجلجامش يدركان ما يحدثه الظلام من رعب وخوف وألم على المتوفى وهنا تتجلى أهمية النور وأثره على الجسد والروح وما يبعثه من سعادة وحيوية.[4]

---

[1] والس بيدج،كتاب الموتى الفرعوني"عن بردية أني بالمتحف البريطاني"، تر فليب عطية ، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1988 ، ص ص 125،72.

[2] انفسه ، ص 88.

[3] يان أسمان، المرجع السابق، ص 518.

[4] طه باقر، ملحمة جلجامش، المرجع السابق، ص57.

4-المدلول الرمزي للأشياء:

ورد في الوثائق التي هي قيد الدراســة اتفاق حول ذكر بعض الأشــياء والتي كانت لها دلالات رمزيه تعنى بالعالم الآخر تتمثل في:

الشــجر : وإن اختلف نوعه حيث في كتاب الموتى ذكرت شــجره الجميز أما بالنســبة للملحمة فورد ذكر شجره الأرز وكلا النوعين استخدما كدلاله للخلود وذلك للخصائص التي تمتلكها هذا النوع من الأشجار كالتعمير والصلابة وديمومة الخضرة مما جعل استخدام لفظ الشجر أو استعماله هدفه التبرك ومغزاه الخلود

الثور : وهو دلاله على القوه والفحولة وقد ورد ذكره أيضا في كلا النصين

الرقم سبعه : قد ورد ذكره في نموذج الدراسة (كسبعه أيام ،سبعه منازل)وعلى أكثر تقدير أن الرمز يدل على الكمال والإكتمال ومن الناحية الفلكية دل على علاقته بالنجوم والتي تحكم مسار حياة الإنسان .

الســفينة: وذكرت في كتاب الموتى تحت اســم المركب وفي كلتا الثقافتين كوســيلة تنقل أو النجاة أو الرحلة وبالتالي فدلالتها هو المساهمة في عملية الانتقال إلى العالم الآخر وتسخير إمكانية الحياة اللانهائية.

الثعبان: ورد ذكره في كلا النصــــين وهو رمز لقوة الموت كما أن قدرة الثعبان على تجديد جلده رمزا على تجدد الحياة[1].

5- التغلب على الموت

ســـعى كلا النصـــين إلى إيجاد طرق للتغلب على الموت وتحقيق الخلود من خلال رحلة رمزية حيث يكون بطلها في "كتاب الموتى" مقترن بالإله أوزيريس متســلحا بتلك الصــيغ و التعاويذ، و اجتياز رحلة شــاقة وعســيرة يجابه فيها خطر الموت للمرة الثانية كل هذا في سبيل نيل الخلود.[2]

وكذا الشـــأن بالنســـبة إلى الملك جلجامش من خلال خروجه في مغامرة كبرى بحثا عن طرق لهزيمة الموت الذي يلحق بالبشر جعلته يصل إلى جبل ماشو الذي يحرسه (البشر- العقارب) ومنه إلى بحر الظلمات حتى بلغ (مياه الموت) ومنها إلى أوتنا بشتم الذي أطلعه على سرّ "الصبا "والذي ضاع منه في الأخير لتنتهي الرحلة بما ابتدأت في وصف لأسوارها المتينة، يحمل كنزا من المعرفة و الحكمة التي هي هدف الإنسان في هذه الحياة ومصدر سعادته .[3]

[1] خمائل شاكر أبو خضير، الرمزية في الفكر الديني في حضارة بلاد الرافدين وحضارة إيران قديما، ع55، د ب،2016، ص ص249 259.

[2] كتاب الموتى، ص 241.

[3] فراس السواح، المرجع السابق، ص280.

إلى حد الأن يصـــبح الموت حتمية لا مناص منها وعليه فإن صـــورة التغلب على الموت تظهر في ملحمة جلجامش من خلال زيارته لـ"سيدوري" ساقية الخمر هذا الأخير الذي لم يرد ذكره عبثا فشرب الخمر جماعة وسائل تلهي المرء عن هم الموت وتعيد إليه توازنه الداخلي فالحكمة والتوجيه هدفهما النســـيان، حيث على الإنســـان الرافدي أن يقنع بما قســـم له من حظ ولا يجب أن يبحث عمّا حرم منه، وأن يهتم بمباهج الحياة وإنجاز ما يخلد ذكره من تكوين أسرة وإنجاب الأولاد[1].

6- الإهتمام بالحياة والموت:

يتناول كلا العملين الأدبيين موضوعات الحياة والموت والبحث عن الخلود، كان الجانب الديني عنصرا فاعلا ومؤثرا إلى حد كبير حيث في مصر ومن خلال كتاب الموتى تتم بإشراف الكهنة بدءا من عملية التطهير، فالموكب الجنائزي وطقس فتح الفم وتقديم القرابين مع تلاوة الأدعية والترانيم.[2]

ومن خلال ملحمة جلجامش فنجد هذا الاهتمام يظهر في حواره مع الناجي الوحيد من الطوفان والذي نال الخلود إضـافة الى التحول العميق الذي حققه جلجامش عبر الملحمة من الموقف الفردي إلى الاهتمام بمصـالح الجموع، وفي رثاءه وحزنه على موت صديقه وسؤاله عن حال من لم ينجب أولا د في العالم السفلي.[3]

7-أهمية الأخلاق:

ويتجلى في كتاب الموتى من خلال التكرار الملح لكلمات " ماعت " " الحق " "العدالة والصـــدق " والتي تعد من أسمى وأنبل التعابير الإنســانية التي توصــل اليها الإنســان، ونجدها بإســهاب في الفصــل "125" الخاص بالمحاكمة حيث لا يكتفي المصـري إلى اسـتنكار الكبائر " الكذب، القتل، الزنا "بل أكثر من ذلك حيث توصـل إلى اعتبار السعي وراء الأنثى خطيئة والتعالي على الأخرين خطيئة... [4]

[1] يان أسمان، المرجع السابق، ص 31.
[2] والس بيدج، المرجع السابق، ص 247.
[3] فراس السواح، المرجع السابق، ص134.
[4] والس بيدج، المرجع السابق، ص 244.

أما فيما يخص ملحمة جلجامش فتتوضح أهمية الأخلاق من خلال:

الصـــداقة وذلك في تحول الصـــراع بين جلجامش و أنكيدو المتوحش إلى صـــداقة عميقة يتجلى الإخلاص والإلتزام الكامل فيها طوال أحداث هامة من الملحمة حيث أن حتى أم جلجامش باركت هذه الصـــداقة بل وأكثر من ذلك أوصـــت أنكيدو برعاية ابنها وهذا ما حققه أنكيدو بأمانة، أما من طرف جلجامش فنلمس ذلك التأثر من خلال توجيه طاقته المتخبطة نحو أهداف نبيلة و في أيضـــاحزنه العميق أثناء مرض الصـــاحب وما وفره له من رعاية وسهر بجانبه محاولا التخفيف عنه.

ناهيك عن رثاءه الصـــادر من الأعماق عند موته وما أمر به من تجهيز وقربان لتكريمه، بل وأكثر من هذا حيث أن موت أنكيدو هو الدافع الوحيد ليقوم بمغامرته الأخيرة تلك.[1]

[1] فراس السواح،المرجع السابق، ص255.

المبحث الثاني: أوجه الإختلاف

1-الموت في ثقافة المجتمع مصر القديمة وبلاد الرافدين:

يرى الإنســـان المصـــري القديم أنه بالموت يجتاز الفرد إلى مرحلة أو فترة الحياة في العالم الأخر ليعيش وفق ظروف أخرى ضمن أفق حسي ونشير هنا أن المصري القديم كما ذكرنا سابقا لم يحب الموت بل أحب الحياة حبا جما إلى درجة أنه خلق في العالم الآخر عالما موازيا ومفعما بحركة الحياة حيث أنه لم يرد ذكر لفظ الموت في أهم النصوص الدينية المصرية (كتاب الموتى) وقد عبر عليها بمصطلح "الانتقال "أو "الصعود" ، "أبحر" و "رسا" وهنا يتجلى ضمنيا رفضه للموت بأن أخذ عالمه الأرضي معه ويتضح ذلك من خلال تجهيزاته الجنائزية التي ترافقه يوم الدفن، وعليه فإن الإنسان المصـــري سخر الموت من أجل حياة غنية حيث استطاع بفكره الديني ترويضه وجعله بوابة عبور لحياة أخرى أهم صفاتها أن لا موت فيها.[1]

يتلاشـى الظلام فيها بضـياء ونور يناله باتحاده مع الإله الذي يمنع الضـوء وتنتمي هذه الرمزية إلى الفصـل "80"، من كتاب الموتى.

أما بالنسـبة للنص الثاني من فصـول الظهور في النهار لذات الكتاب فتتكلم عن قدرة المتوفى من الخروج في النهار إلى عالم الأحياء هذه الظاهرة التي ترجع دلالاتها الأولى إلى الدولة الوســـطي وتطورها خلال الدولة الحديثة وقد ارتبط هذا الخروج في غالب الأحيان بالأعياد الدينية كعيد أوزيريس وعيد التبرئة الكبير في أبيدوس، ويوم موكب الأسوار في عيد سوكر ومن خلال هذا نستنتج أن بوابات العالم السفلي تفتح في أزمنة مقدسة.

وقد ارتبط هذا الخروج بالقدرة على التحول هذا الأخير الذي بني في عهد الدولة الحديثة وتعتبر هذه القدرة تصور لتقنية هدفها التحرر من عالم الموت.[2]

أما في بلاد الرافدين ومن خلال ملحمة جلجامش فالموت مفزع ومضـــجع ومن خلال ما ورد في الملحمة فالموت عبارة عن عقاب من طرف الآلهة ومن خلال هذا أدرك جلجامش أن هذا الحدث هو النهاية ومصـــير كل البشـر المحتوم الذي قدرته عليه الآلهة حتى وإن كان قويا صـلبا، وقد كان وقع هذا الفقد قاسـيا نتج عنه حزنا ورثاء ولوعة متكررة.[3]

---

[1] شريف صيفي، التراث الجنائزي لمصر القديمة، جريدة الشرق الأوسط، د ن، 2020، د ص.

[2] يان أسمان، المرجع السابق، ص ص586،587.

[3] فراس السواح، المرجع السابق، ص ص269، 270.

والتي كانت تحمل بين طياتها حزن جلجامش على فنائيته وعلى حتمية الموت ومصـــير في عالم اللاعودة حيث الظلام مخيم وغذاءهم من طين ولباسـهم من الريش، مما يجعلنا نستنتج أن الجانب الديني في بلاد الرافدين لم يكن له دور في مواساتهم وبعث أمل في حياة أحد كما حدث في بلاد مصر القديمة.[1]

وعليه فإن العالم الأخر في بلاد الرافدين هو مكان يقضـي فيه الموتى فترة مماتهم أكثر منه موطنا يسـتكملون فيه حياتهم بمعنى آخر أنهم يعيشون عالما تغيب فيه كل المواصفات الدالة عن الحياة التي يعيشها في عالم الدنيا.[2]

2-شروط العبور إلى العالم الآخر

من خلال ما ورد في كتاب الموتى تعتبر هذه الشـــروط مقومات العالم الأخر حيث على الميت أن يلتزم بشـــروط معينة لتتم عملية العبور بنجاح فالموت هو بوابة الانتقال إلى العالم الأخر لنيل الخلود، ويعتبر الشـــرطان الأولان أساسيان لبداية رحلته في العالم الأخر

أولا: دار الحق أو بيت الأبدية أو القبر وذلك لتأمين البعث وبذلك أصبح حقا بالنسبة للمتوفى يستقر فيه جثمانه ومتاعه الجنائزي.[3]

لقد كانت فكرة الحياة الأخرى والخلود محورا رئيسيا في فن العمارة في مصر القديمة فكان أكثر شيء يشغل بالهم هو كيفية بناء مقبرتهم إلى درجة أن المقابر المصرية أصبحت النموذج الأمثل لفن العمارة في مصر.[4]

ثانيا: الحفاظ على الجســـد أو ما أطلق عليه التحنيط وتعني بها تلك الإجراءات الطبية التي يتم بها الحفاظ على الجسـم من التلف والتفسـخ لتصـبح في الأخير مومياء، ويهدف هذا الإجراء لكي تتعرف عليه الروح(البا) في العالم السفلي وتسكنه من جديد.[5]

ثالثا: كتاب الموتى: هو عبارة عن مجموعة من التعاويذ على غرار صـيغ متون التوابيت ونصـوص الأهرام لا بد للمتوفى أن يستعين بها لتسـهيل الطريق للوصـول إلى أوزيريس و الإجابة على الأسئلة التي يواجهها المتوفى ومن خلاله يستطيع المتوفى أن يحظى بمساعدة آلهة العالم السفلي.[6]

---

[1] سامي سعيد الأحمد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت،2013، ص92.

[2] بان أسمان، المرجع السابق، ص 42.

[3] رمضان عبدو علي، المرجع السابق، ص391.

[4] محمود مرسي ومحمد جارحي، المرجع السابق، ص465.

[5] رمضان عبدو علي، المرجع السابق، ص290.

[6] نفسه، ص340.

رابعا: المحاكمة وقد ورد ذكرها في كتاب الموتى في الفصل 125 مصحوبة ولأول مرة بمشهد تصويري يمثل الميزان محورها الذي يحمل قلب المتوفى في كفة ورمز الماعت في كفة أخرى والتي يقصد بها إحلال التوازن والثبات والذي يتحقق بالصدق والأمانة والعمل المتقن والفضائل.... الخ.[1]

وعلى العموم فالولوج إلى العالم الأخر في مصر أشبه بدخول امتحان عرفت أسئلته مقدما وفي حوزة المرء ورقة بالإجابات الصحيحة.[2]

أما بالنسبة إلى بلاد الرافدين ومن خلال ملحمة جلجامش فإن عملية النزول إلى العالم الآخر تتوجب الالتزام بضوابط وتنفيذ تعليمات وتفادي العراقيل حيث يقول بطل الملحمة لصديقه: "إذا اعتزمت النزول إلى العالم الأسفل هذا اليوم.

فسأقول لك كلمة فاتبع كلمتي:

- سأرشدك فسر وفق إرشادي.
- لا تكتسي بالحلة النظيفة وإلا هب بوجهك الأموات.
- لأنك تبدو غريبا عن عالمهم.
- لا تمسح جسمك بالزيت الفاخر لئلا يتجمعوا حولك بسبب عطره.
- لا ترم رمحا في العالم الأسفل مخافة أن تصيب بعضهم فيحيطوا بك.
- لا تأخذ بيدك عصا وإلا فإن الأرواح سترجف منك.
- لا تلبس نعلا في قدميك ولا تحدث صوتا في العالم الأسفل.
- وإذا وجدت الزوجة التي تحب فلا تقبلها وإذا صادفت الزوجة التي تبغض فلا تضربها.
- ولا تقبل الابن الذي تحب ولا تضرب الابن الذي تكره.
- إلا فإن صراخ العالم الأسفل سيغلبك[3]

[1] أنا مانسيني، المرجع السابق، ص107.

[2] أ ح سبنسر، المرجع السابق، ص166.

[3] طه باقر، ملحمة جلجامش، ص 81.

من خلال هذه الشروط نجد أن بلاد الرافدين لم تهتم بعملية الحفاظ على الجسم بقدر ما كانت تؤكد على عملية دفن الميت وهنا تكون نهايته التحلل في التراب وتبقى روحه في العالم السفلي.

3-طبيعة العالم الآخر

كان ينظر إلى العالم الأخر في مصر القديمة ومن خلال ما ورد في كتاب الموتى أنه عالم شبيه بالعالم الأرض به نهر شبيه لنهر النيل يبحر فيه الإله رع في رحلته الشمسية اليومية، وأقاليم وحقول الفردوس ببحيراتها والحقول الإليزية(سخت إنرو) والتي يعتقد أن الأرواح تعيش هناك وأنها مقر الإله اوزيريس و أتباعه من المؤمنين حيث يجد الأبرار الحياة الهادئة السعيدة التي يتمتعون فيها بلباسهم الجميل، لهم فيها من الخيرات ما لذ وطاب ويعبر هذا عن صورة لجنة أبدية ملئ بمباهج الحياة خالية من الحزن والقلق والصراع خاصيتها عدم الفناء و التي يمثل فيها العمل الصالح و الأخلاق المثلى تأشيرة دخولها أما غير ذلك فكانت " عممت" جزاءه أين يموت للمرة الثانية ويساق إلى العدم بعقابه أقصى العقوبات.[1]

أما بالنسبة لبلاد الرافدين ومن خلال ما ورد في ملحمة جلجامش وبالضبط في الفصل الثاني فيذكر أنكيدو:"نظر إليّ وقادني إلى دار الظلمة إلى مسكن "إركلا"

إلى الطريق الذي لا رجعة لسالكه

إلى الدار التي حرم ساكنوها من النور

حيث التراب طعامهم والطين قوتهم

وهم مكسوون كالطير بأكسية من أجنحة الريش

ويعشون في ظلام لا يرون نورا

وفي بيت التراب الذي دخلته ...."[2]

[1] والس بيدج، المرجع السابق، ص ص266،267.

[2] طه باقر، المرجع السابق، ص57.

يعبر هذا النص عن حلم أنكيدو إلا انه بمثابة رؤى شفافة اعتمدت ككشافات يستهدي بها السائر في الظلمة، فالعالم السفلي في ثقافة مجتمع بلاد الرافدين يقع في الطبقة الأخيرة تحت الأرض أين تحوم أرواح الموتى هائمة داخل أسواره في عالم معتم مليء بالغبار كما أن الموتى في بلاد الرافدين كان محضور عليهم اللباس النظيف والتطيب وهذا من خلال وصايا جلجامش لأنكيدوا أما عن طعامهم فكان مرهون بالمستوى الاجتماعي وحجم الشعائر الجنائزية والقرابين[1]

4-المحتوى:

كتاب الموتى هو مجموعة من النصوص الدينية والتعاويذ التي تعبر عن تطور الفكر الديني في مصر تجاه مشكلة الموت يقضي بتزويد المتوفى بكل ما يمكن من زاد فكري وديني في رحلته العسيرة إلى السماء أو إلى العالم السفلي.[2]

أما فيما يخص ملحمة جلجامش فهي عبارة عن نص شعري أدبي بطولي نشأت في بلاد الرافدين في العهد السومري وهي أهم وأكمل عمل إبداعي تروي قصة ملك يسعى للعثور على سر الخلود شملت بين ثناياها تصورات العالم الآخر من موت وبعث في بلاد الرافدين.[3]

5- المصـــير:

ورد المصير في كتاب الموتى في الفصل "125" حيث يشترط على المتوفى المثول أمام المحكمة لتبرئة نفسه، وتبيان ذلك يكون عن طريق وزن القلب وهنا نشير إلى أن المتوفى يلقى التعويذة على القلب لكي لا يشهد ضده وتعبر هذه التقنية عن كفاءة الكهنة في إيجاد طرق ماهرة لاجتياز هذا الاختبار شأنه شأن باقي الإختبارات وهذا ما يفسر نجاح من مثلوا أمام محكمة أوزيريس.[4]

أما فيما يخص ملحمة جلجامش فالمصير هو موت محتوم لكن بدرجات متفرقة من الراحة وأعلاها قيمة هو الموت في ساحة الوغى هذا الأمر الذي يظهر في قول أنكيدو

" يا صاحبي لقد حلت بي اللعنة فلن أموت ميتة رجل سقط في ميدان الوغى ".[5]

---

[1] نائل حنون، المرجع السابق، ص124.

[2] والس بيدج، المرجع السابق، ص144

[3] حنان بوذينة، المرجع السابق، ص14.

[4] والس بيدج، المرجع السابق، ص ص 128،122.

[5] أحمد الماجد، الموت في الحضارة القديمة، مجلة المحجة، ع17، فيفري 2021، ص 42.

المبحث الثالث: العناصر المتداخلة:

1-طبيعة الروح:

ذكرت الروح في كلتا الحضارتين على أنها عنصر من عناصر الجسد تنفصل عنه بمجرد الموت وقد شبهت بالطير حيث سميت في الحضارة المصرية من خلال كتاب الموتى "بالبا" و مثلت في شكل طير برأس المتوفى وبالمثل بالنسبة لبلاد الرافدين حيث ذكرها أنكيدو أثناء سرد حلمه أنه رفع نحو السماء وكان عاريا ويداه تحولتا إلى جناحي الطير، وقد شبهت بالطير لسرعة التنقل والارتفاع وتشير النصوص الدينية التي بين أيدينا أن هذه الروح تحول لتقترن بالجسد في العالم السفلي لكن الاختلاف الموجود هنا أن "البا" تقترن بجسد المتوفى في حالة التعرف عليه ويرد هذا في الفصل (89) من كتاب الموتى وهو فصل جعل الروح تتحد مع جسدها في نترخرت(الآخرة) فيقول "أوزيريس-آني" الظافر المبرأ:" ... أيها الإله العظيم لتضمن أن تأتي روحي إليّ من حيثما كانت.... التي بها تتحد الأرواح بأجسادها".[1]

أما في بلاد الرافدين فلم يكن بالضرورة ذلك حيث تتحد الأرواح بأجسادها دون شرط الحفاظ على الجسد بدليل تعرف أنكيدو على من يحبهم ومن يكرههم رغم تحول أجسادهم إلى أشباح.[2]

وفي نفس السياق فإن الروح لا يتم لها الاتحاد في حالة واحدة وهي إذا لم يتم دفن الجسد حيث إذا ترك في العراء فإن روحه تبقى هائمة ويتحول الجسد إلى شبح يلحق الأذى بالأحياء وعليه فنجد هنا اتفاقا حول دفن الجسد في القبر فبذلك يحصل على السكينة والاستقرار.

وتجدر الإشارة هنا أنه في بلاد الرافدين استخدموا أسلوب عدم دفن الميت كوسيلة للإنتقام وحرمان أرواحهم من الاستقرار.[3]

---

[1] والس بيدج، المرجع السابق، ص 103،104.

[2] نائل حنون، المرجع السابق، ص 115.

[3] نفسه، ص118.

2-أهمية الطقوس والأثاث الجنائزي والقرابين

يعتبر هاذين العنصرين من مقومات العالم الآخر في كلتا الحضارتين وذلك لما لها من تأثير على مسار روح المتوفى في العالم الآخر وتعتبر إجراء ضروري يتم أثناء الموكب الجنائزي وفي لحظة الدفن ويتم حتى فيما بعد في صورة قرابين يقدمها الأبناء في كل وقت وخاصة في الأيام الاحتفالية والأعياد الدينية ومن خلال هذا وما ورد في النصوص الدينية للحضارتين نجد هذا أنه يندرج ضمن توصيات بر الوالدين وأن سيرة الإنسان لا تنقطع بل تستمر باستمرار نسله إلا أن موضع الاختلاف فيتمثل في الهدف المرجو من هذه الطقوس وهذا الأثاث الجنائزي والذي كان رهين المستوى المادي للمتوفى.

ففي حضارة مصر ومن خلال كتاب الموتى نجد أن هذه الطقوس تتيح للمتوفى الإتحاد مع أوزيريس رب العالم السفلي، وشعيرة فتح الفم التي تمكن الميت من تناول القرابين التي يقدمها الأبناء والأقارب والتي كانت تسمى "عين حورس" والتي لها مفعول هام حيث تمنح القوة لقلب المتوفى.[1]

أما الأثاث الجنائزي فكان الهدف منه استعماله في الحياة الأبدية على نسق حياته الدنيوية ومثالنا على ذلك ما ورد في الفصل (6) من كتاب الموتى "خطاب إلى الأوشابتي رمز المجيب" حيث يقول (اوزيريس-آني) الكاتب الظافر: هلا "شابتي" إذا صدر لي أمر أن أقوم بأي عمل في نترخرت أحمل عني كل الصعاب سواء كانت حرث الحقول أو غمر القنوات بالماء أو حمل الرمال من الشرق إلى الغرب.

وعليه فإن الطقوس والشعائر والأثاث الجنائزي كان موجه للميت لتذليل الصعاب واجتياز الرحلة والوصول بسلام.[2]

أما بالنسبة لبلاد الرافدين فكان الهدف حسب ما ورد في ملحمة جلجامش في قوله: أيها الصفار والصائغ والجوهري، وناقش الأحجار الكريمة، اصنعوا لي تمثالا لخلي"

"ثم نحت لصديقة تمثالا جاعلا صدره من اللازورد وجسمه من الذهب، ونصب منضدة من الخشب القوي وإناء من اللازورد مملوء بالزبد وقرب ذلك إلى شمش".[3]

---

[1] والس بيدج، المرجع السابق، ص247.

[2] نفسه، ص158.

[3] طه باقر، المرجع السابق، ص 59.

والغرض مع من هذه القرابين هو تأمين الطعام والسوائل للموتى وأن تحضي بمكانة جيدة وتهون على المتوفى أهوال العالم السفلي وعليه فإن هذا المقدار من الراحة يكون بنسب متفاوتة بحسب حجم الشعائر الجنائزية والقرابين التي قربها الأبناء للإلهة وقد اتضـــح ذلك في ســـؤال جلجامش لأنكيدو حول حال من لم ينجب أولادا في العالم الســـفلي، وقد كان انقطاع الأبناء عن القرابين والســـوائل يجعل المتوفى أمام حلان لا ثالث لهما إما أن يقتات من الطين أو أكل فضلات الشوارع في الحياة الدنيا.[1]

ومن خلال هذا فإن الإختلاف ورغم أهميتها بالنســـبة لكلا العقيدتين يكمن الهدف المرجو من الطقوس والشعائر الجنائزية التي تتمحور حول المصير.

3-سيادة العالم السفلى:

تتفق كلا العقيدين على أن العالم الآخر يسوده ويتربع على عرشه الآلهة وتشرف على تسييره فبالنسبة لمصر القديمة وحســـب ما ورد في كتاب الموتى يحكمها الإله أوزيريس ويســـاعده في ذلك مجموعة من الإلهة مثل تحوت وأنوبيس وإزيس ونفتيس .... الخ.[2]

أما فيما يخص طبيعة الآلهة في العالم السفلي فكانت حامية ومساندة وفي بعض الأحيان في شكل اتحاد وفي أحيان أخرى مانحة لقدرات الإله لتمكين المتوفى من اجتياز العالم الســـفلي كما ورد في كتاب الموتى فيما يخص الاتحاد، يقول أوزيريس آني الظافر المبرأ: " ...إني أكتسي برداء الآلهة (معتت) وأنهض وأجلس حيثما يشتهي قلبي ...إن رأسي مثلما رأس "رع ".... حلقي مثلما حلق حتحور...."[3]

[1] نائل حنون، المرجع السابق، ص 123.
[2] والس بيدج، المرجع السابق، ص 249.
[3] نفسه، ص ص 92،90.

أما بالنسبة لعقيدة بلاد الرافدين حول العالم الآخر فهو تحت حكم الآلهة " ايريش-كيكال" بمساعدة مجموعة كبيرة من الآلهة والشياطين.

وكانت الآلهة هناك ذات طابع عقابي قاسي وذلك من خلال ما ورد في ملحمة جلجامش حيث في إحدى ثورات غضب الآلهة اجتمعوا في مدينة "شرباك" وقرروا إغراق أهل الأرض جميعا بطوفان شامل لا يترك على ظهرها أحد، إضافة إلى انتقام الآلهة إنانا (عشتار) عندما استطاع كل من جلجامش و أنكيدو قتل الثور السماوي والذي تمثل بإصدار حكم الآلهة ضد أنكيدو الذي أوقعه المرض ثم الموت لا لشيء إلا بدافع الانتقام من جلجامش، وقد ورد في الملحمة وصف أنكيدو لملك الموت بأنه مخلوق مخيف كطير الصاعقة"زو"كما وصف العالم السفلي وتحدث عن رؤيته فيه الملوك و الحكام و قد نزعت عنهم التيجان.[1]

[1] سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص93.

خاتمة

من خلال دراستنا لموضوع العالم الأخر في ثقافة مجتمعي مصر القديمة وبلاد الرافدين كدراسة مقارنة يمكننا الوقوف عند بعض النتائج:

شكلت ظاهرة الموت أهمية كبيرة ومند أقدم العصور حتى قبل ظهور الإنسان العاقل، وذلك من خلال ما وجده علماء الآثار من دفنات بدائية في الكهوف دلت على مكانة المتوفى أو معتقدات محددة، إن كان هذا أو تلك فإنها توحي بوجود عناية فائقة تمارس خلال عملية دفن الميت، تطورت مع مرور الوقت وأصبحت أكثر تعقيدا وقد كانت بمثابة الإرهاصات الأولى لمعتقدات العالم الاخر قبل ظهور الفكر الحضاري.

استلهم إنسان مصر القديمة وبلاد الرافدين فكره حول الحياة بعد الموت والتجدد والبعث من منطلق الطبيعة وما شملته من ظواهر استدعت تفكيره وتأمله كمسار الشمس في شروقها وغروبها ودورة القمر وظهوره مرة أخرى إضافة إلى ظاهرة الفيضان الذي تنبت به الأرض بعد موتها، فهكذا هي الموت.

كما أثّرت الطبيعة الجغرافية لكل حضارة في تكوين وتطور مفهوم العالم الآخر ففي مصر مكَّن موقع البلاد الجغرافي المحصن أهل مصر أنْ يعيشوا حياة هادئة حتى وإن حدثت بعض الحروب والمعارك اعتبرها المصري أحد المصائب التي حلت به ولم يهتم لها، فقد سجلت الحضارة المصرية في تطورها تلك الإستمرارية منذ بداية العصر الحجري الحديث إلى غاية الغزو الفارسي، أو بتعبير آخر سارت في مجرى منتظم ،فصار تصورهم للعالم الآخر على ذات النسق فكانت طقوسهم تؤدى بشكل هادئ وعُوملت الآلهة معاملة الرجل القوي الذي يسعى الكل إلى تأكيد مظاهر احترامه .

أما في بلاد الرافدين فهي الأخرى تأثرت تصوراتها للعالم الآخر بالطبيعة وجغرافية المكان أبسطها ظاهرة الفيضان التي كانت غير ثابتة، وغيرها من العوامل كما تأثرت مفاهيم الموت والحياة الآخرة في هذه المنطقة بشكل كبير بالتغيرات والتطورات الحضارية التي شهدتها الحضارة السومرية والأكادية مرورا بالبابلية والآشورية.

ترسيخ مفهوم بناء القبر والدفن والشعائر الجنائزية والقرابين في كلتا الحضارتين بغض النظر عن حجم الخسائر المادية والتسخير البشري لذلك يعطي الضمان للمتوفى بأن لا يسقط بموته من ارتباطه بالحياة في بلده وفي نفس الوقت ألا يسقط من حيزه الاجتماعي والثقافي حيث يجد مكانه فيه حاضرا حتى بعد الموت ومصيره في العالم الآخر مرتبط بجماعة الأحياء والذي أفضى إلى النضج الأخلاقي.

كان لمعتقدات العالم الآخر في كل من مصر القديمة وبلاد الرافدين تأثير عميق على التطور الحضاري وشكل ذلك بعدا حضاريا ظهر في الفنون والعمارة والأساطير والفلسفة والقانون والعلوم فكان العالم الآخر المحرك الأساسي للعديد من الإنجازات العظيمة في هاتين الحضارتين العريقتين على الرغم من اختلافهم في تصورهم للعالم

الآخر حيث أن الانسان في مصر القديمة رفض الموت ولم يتقبله، ولكن في نفس الوقت لم يقصيه بل روضه وصاغه وجعله مركزا لكل الحواس و بوابة لعالم آخر يوازي العالم الدنيوي وضع أسسه الكهنة وأضفى عليه الشرعية الدينية،

أما في بلاد الرافدين فقد كان الموت مقدرا على البشر والخلود هو طبيعة الاهية وهذه هي حقيقة حتمية لا مناص منها بل أكثر من ذلك فهي تتحكم في مصائر البشر وعلى الإنسان الرافدي أن يقنع بما قُسم له من حظ ولا يجب عليه أن يبحث عما حرم منه ومصيره في العالم الآخر إلى الصلصال والظلام فهو عالم يقضي فيه المتوفى فترة موته والخوف منه ومن الموت طبيعي حيث لولاه لما أحب الإنسان العراقي الحياة واستفاد من ممكناتها حله في والاهتمام بالبناء الحضاري الذي يخلد ذكره، فكان بذلك العالم الآخر في كلتا الحضاريتين باعثا للحضارة بدليل أن معظم تاريخ الحضارتين وجد في المقابر.

قائمة الملاحق

	الإله أنوبيس
الإله شو يفصل السماء الآلهة نوت عن الأرض الإله جب	الاله تحوت

اللوح رقم: 01 أهم الالهة التي عبدت في مصر (علاء الدين عبد المحسن شاهين، المرجع السابق، ص4)

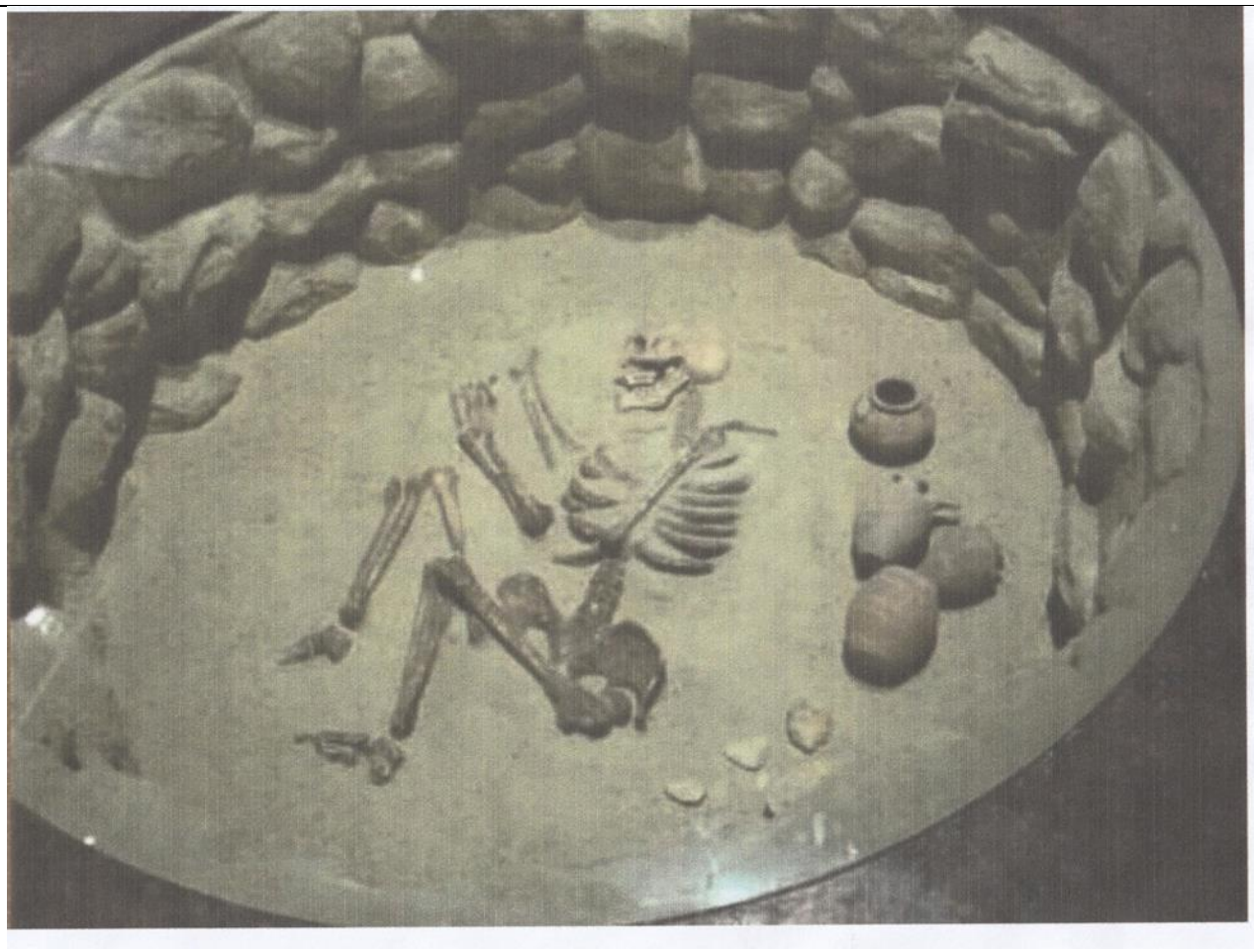

الصورة رقم:02 دفنة من دفنات عصور ماقبل التاريخ مع المتاع الجنائزي (تطور عمارة القبر الملكي في مصر القديمة، عبد الباسط رياض، ص8).

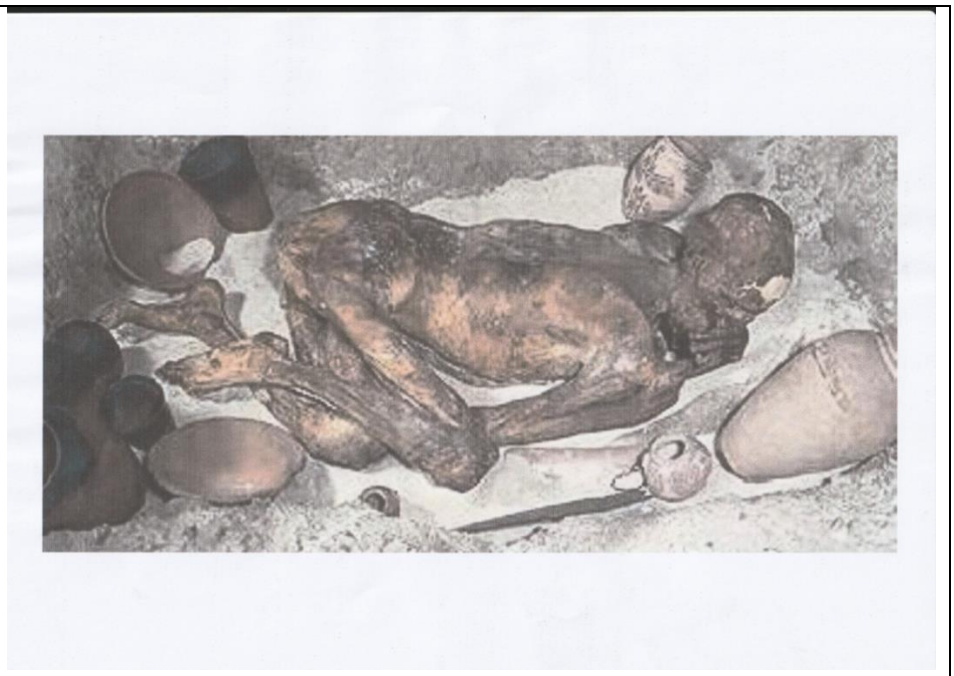

الصورة رقم:03وضع القرفصاء يصاحبه متاعه الجنائزي لضمان خلوده في العالم الأخر (عبد الباسط رياض، تطور عمارة القبر الملكي في مصر القديمة، ص7).

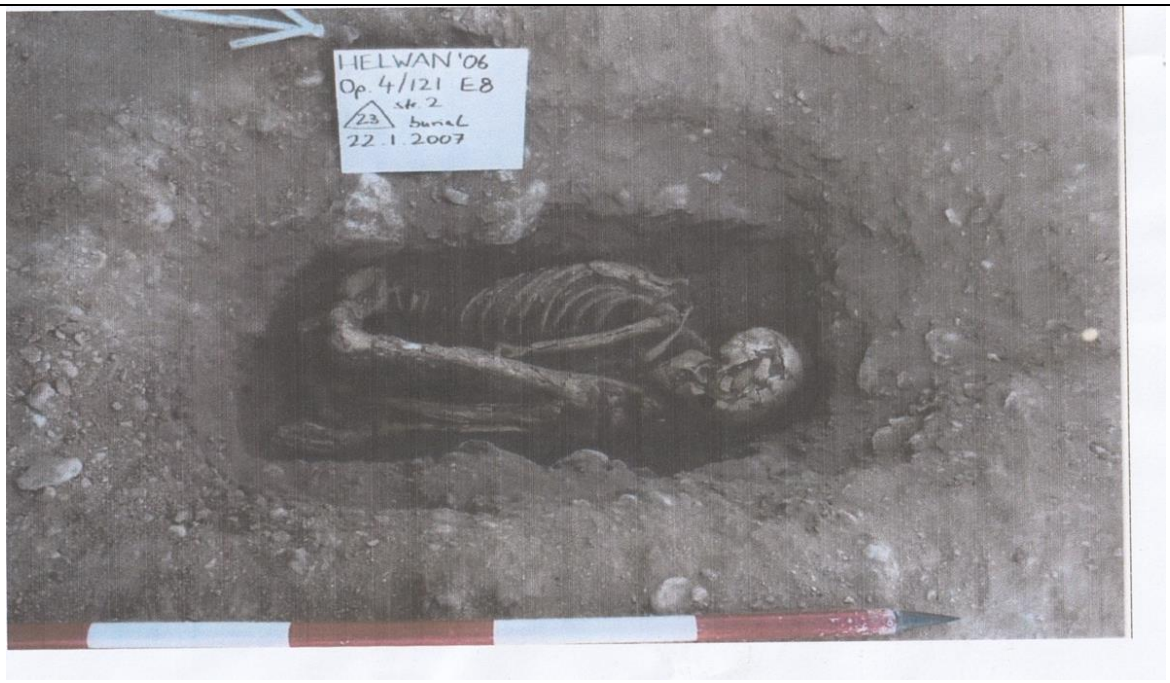

الصورة رقم:04 نموذج لدفن مومياء في وضع القرفصاء من حلوان في عصور ما قبل التاريخ (عبد الباسط رياض، تطور عمارة القبر الملكي في مصر القديمة، ص 4)

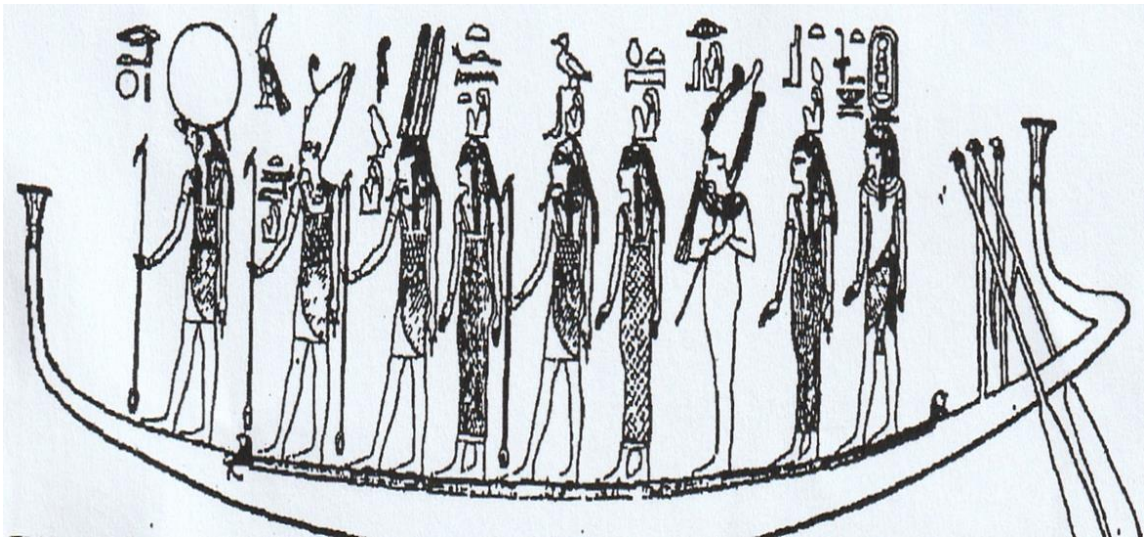

الصورة رقم:05 الرحلة الشمسية مع الإله رع (ياروسلاف تشرني، المرجع السابق، ص 112).

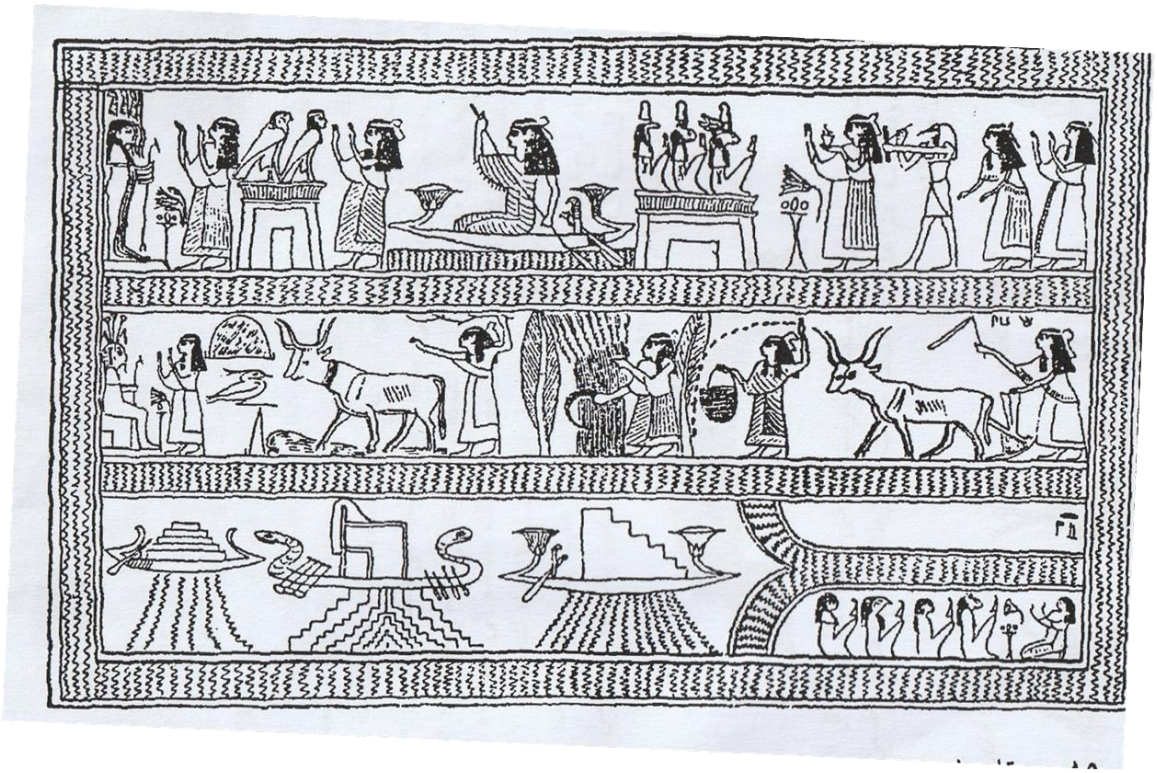

الشكل رقم:06 حقل ياور، من بردية جنائزية لسيدة وقد مثلت عليها وهي تفلح الأرض وتمخر عباب الماء وتدعو الآلهة.

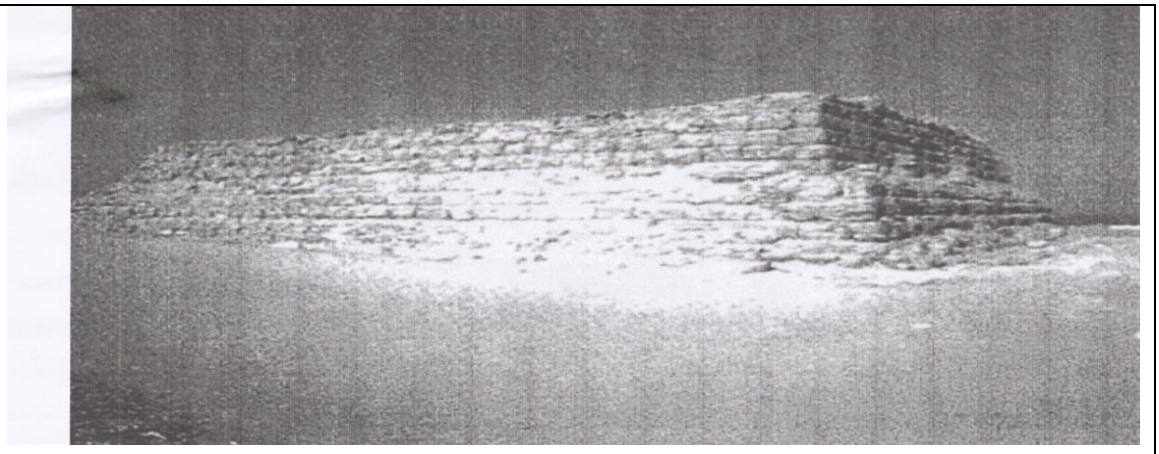

الصورة رقم: 07 نموذج لتطور القبر وظهور المصاطب.

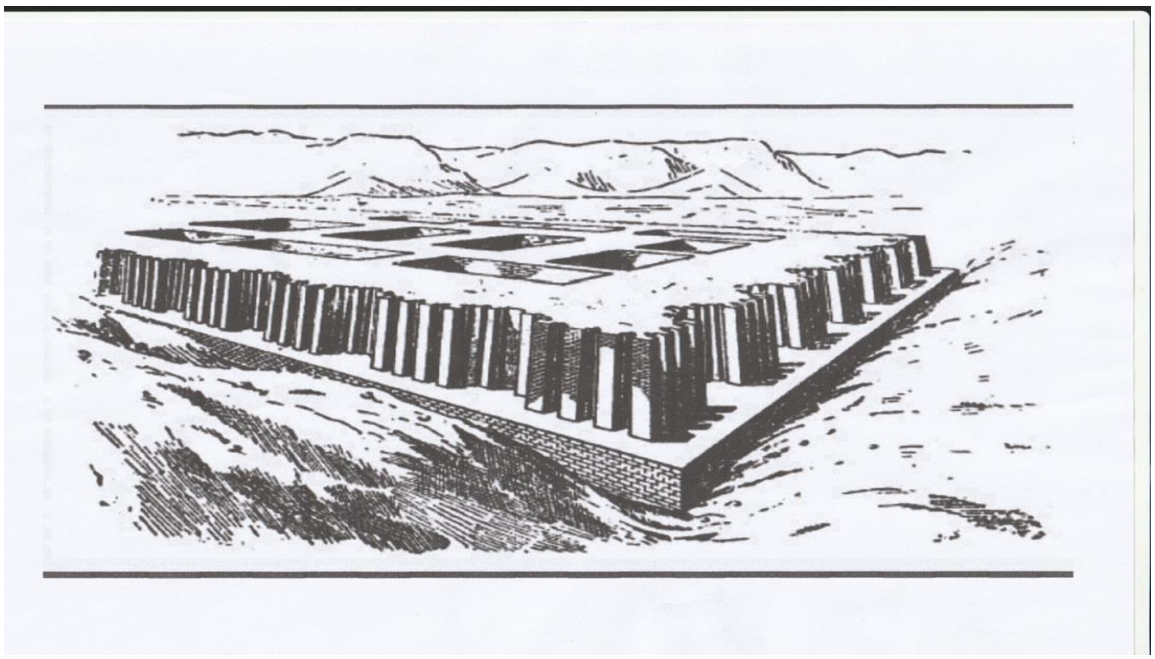

الصورة رقم:08البناء الخارجي للمصطبة يظهر المشكاوات

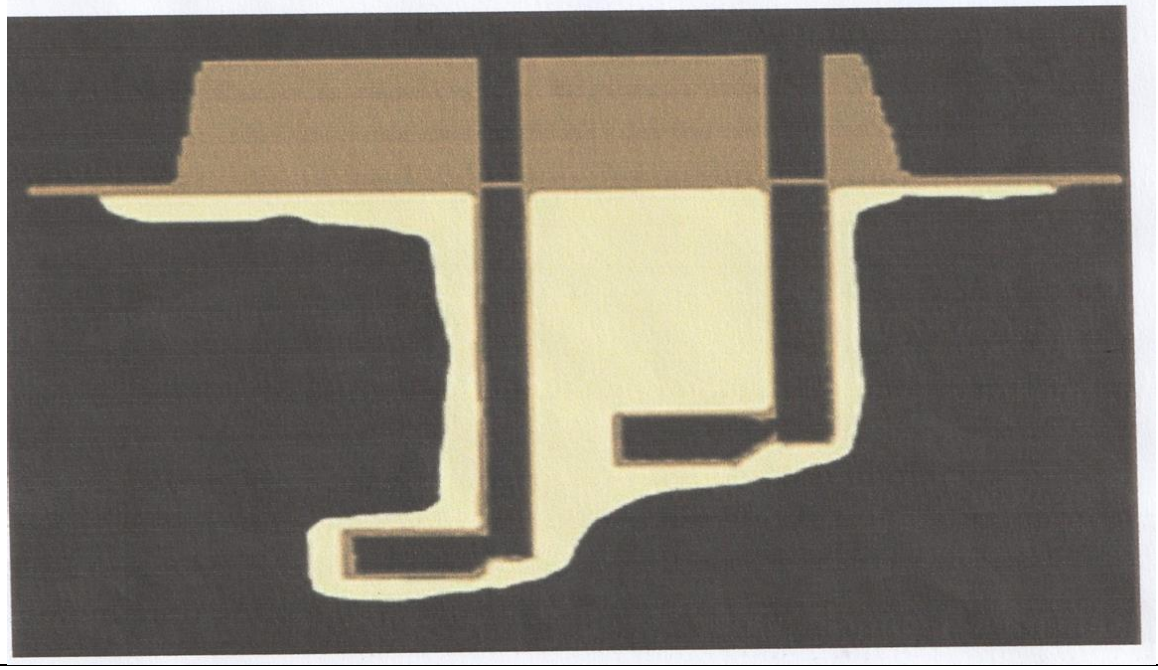

الصورة رقم:09أبار الدفن في المصاطب الملكية (عبد الباسط رياض، تطور عمارة القبر الملكي في مصر القديمة، ص15).

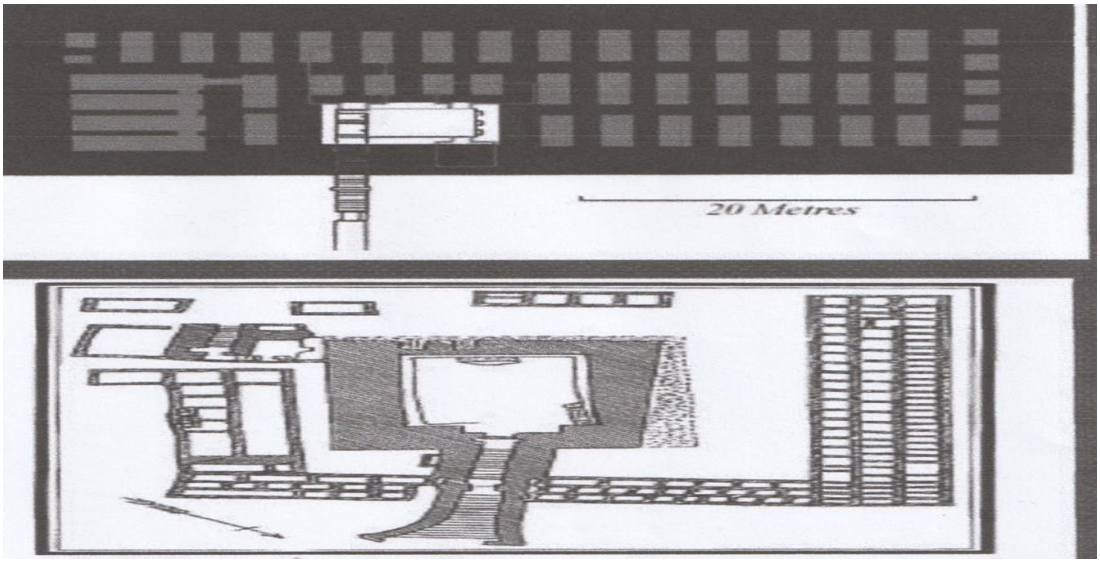

الصورة رقم:10ظهور الدرج السلمي بدلا من البئر في مصطبة بسقارة وأبيدوس " الأسرة الأولى "(عبد الباسط رياض، تطور عمارة القبر الملكي في مصر القديمة، ص15).

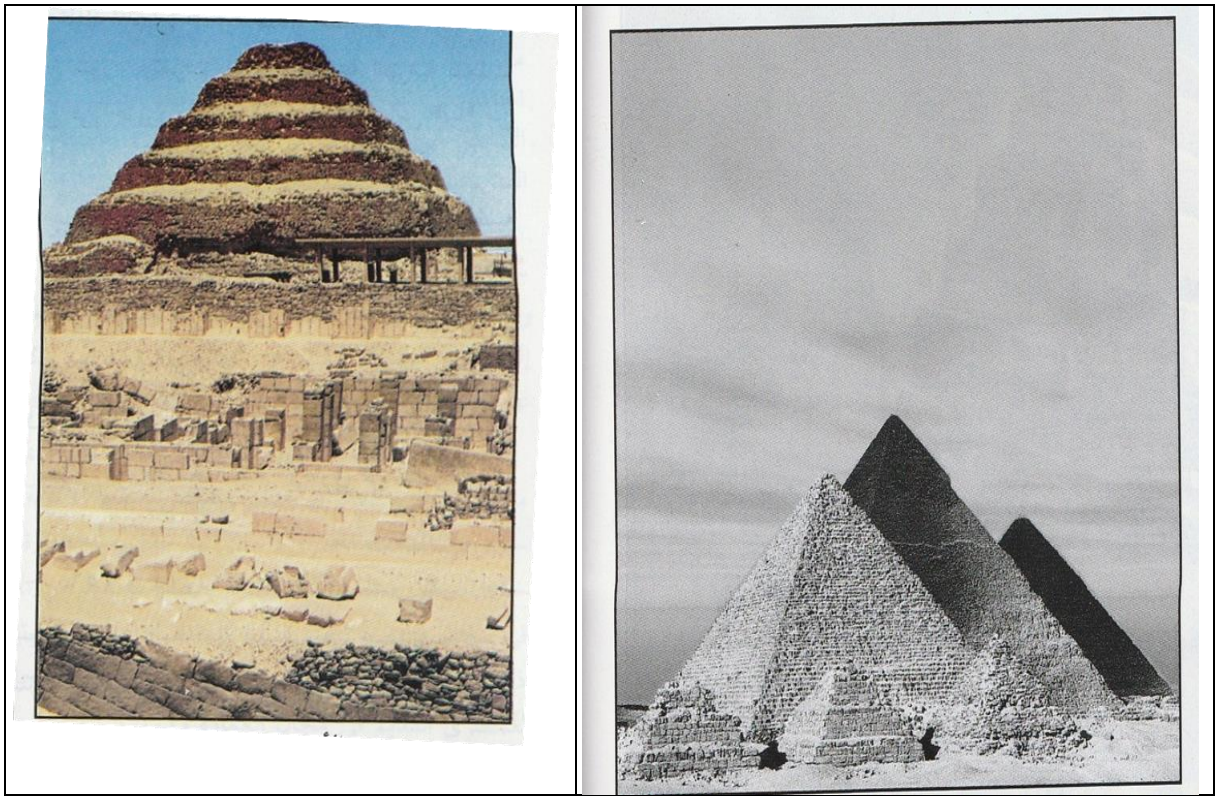

أهرام الجيزة (خوفو– خفرع – منكاورع) هرم زوسر المدرج بسقارة

الصورة رقم:11الأهرام في مصر القديمة (علاء الدين عبد المحسن واخرون، المرجع السابق، ص09)

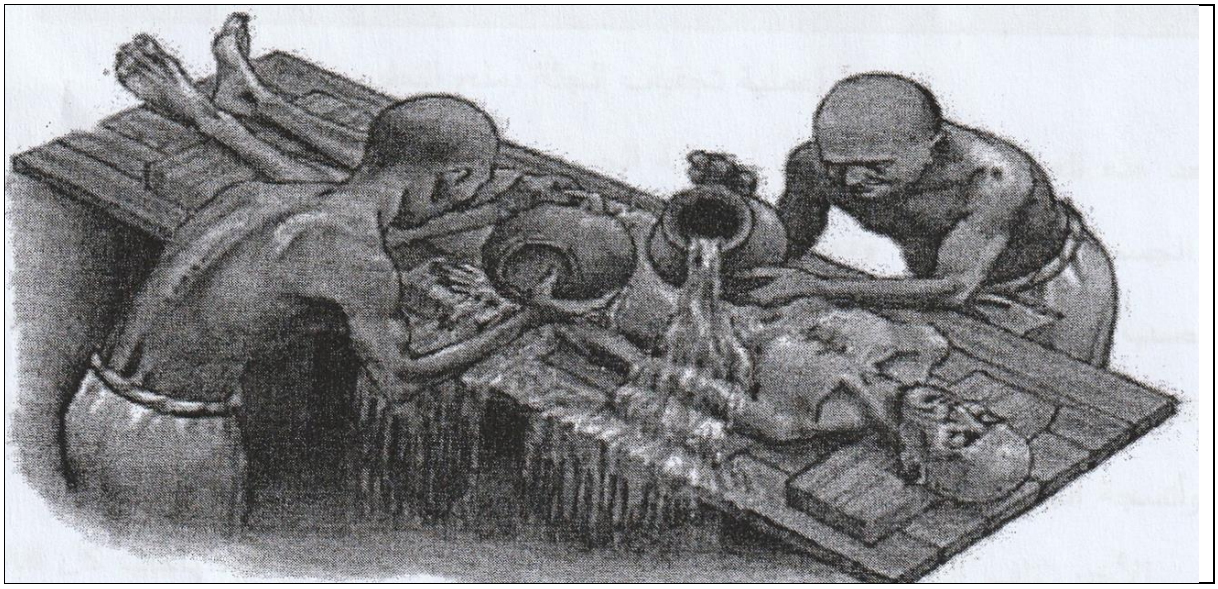

الصورة رقم:12صورة لعملية غسل الميت لتنظيفه من الأوساخ العالقة.

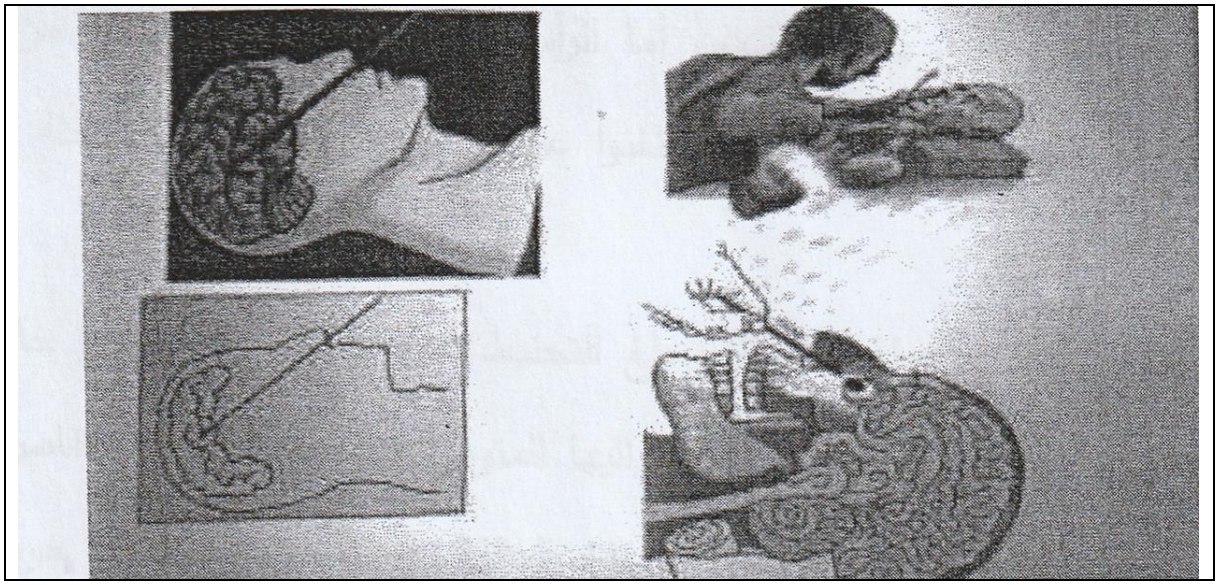

الصورة رقم:13 عملية انتزاع المخ (كاهينة قبايلي، المرجع السابق، ص ص58 59).

الصورة رقم:14صورة لعملية تجفيف الجثة بملح النطرون والأواني الكانوبية (كاهينة قبايلي، المرجع السابق، ص ص60 61).

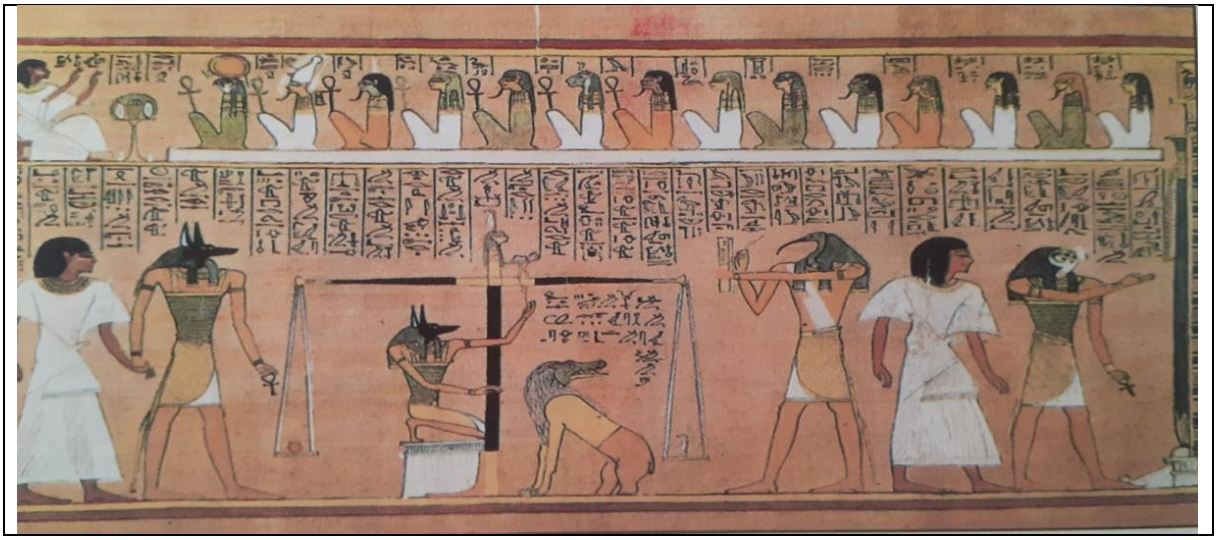

الصورة رقم:15 مشهد يمثل المحكمة الالاهية حسب التصور المصري (علاء الدين عبد المحسن شاهين، المرجع السابق، ص9).

الملحق (15): صورة توضح تقديم القرابين في بلاد الرافدين.

الملحق (16): يوضح صورة جلجامش ملك أوروك.

الملحق (17): يوضح حجر مكتوب باللغة المسمارية عن ملحمة جلجامش.

الملحق (18): صورة توضح دفن الأطفال في أواني فخارية في بلاد الرافدين.

الملحق رقم (19): يوضح طرق الدفن في بلاد الرافدين.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

❖ المصادر

1. أ.ح سبنسر، الموتى وعالمهم في مصر القديمة، تر أحمد صليحة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1987.
2. أدولف إرمان، ديانة مصر القديمة نشأتها وتطورها ونهايتها في أربعة آلاف سنة، تر عبد المنعم أبو بكر ومحمد أنور شكري، مكتبة مدبولي، القاهرة، (د ت).
3. كتاب الخروج في النهار"نصوص مصرية قديمة"، تر شريف الصيفي، المركز القومي للترجمة القاهرة، ط2، 2009.
4. نائل حنون، ملحمة جلجامش، ترجمة النص المسماري مع قصة موت جلجامش والتحليل اللغوي للنص الأكدي، دار الخريف للنشر والتوزيع ط1، 2006.
5. والس بيدج،كتاب الموتى الفرعوني"عن بردية أني بالمتحف البريطاني"، تر فليب عطية، مكتبة مدبولي القاهرة، ط1، 1988.

❖ الكتب

1. ا.س ميغوليفكسي، أسرار الديانات القديمة، تر حسان ميخائيل إسحاق، دار علاء الدين، سوريا، ط1، 2013.
2. أنَّا مانسيني، ماعت فلسفة العدالة في مصر القديمة، تر علي رضوان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 2009.
3. أحمد فخري، الأهرامات المصرية، مكتبة أنجلو المصرية،1963.
4. أرنولد توينبي، تاريخ البشرية، تر نقولا زيادة، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 2004.
5. باسم محمد حبيب، حضارة بلاد الرافدين "قضايا ودراسات في التاريخ والآثار، دار الحداثة للطباعة والنشر، بغداد،2022.
6. خمائل شاكر أبو خضير، الرمزية في الفكر الديني في حضارة بلاد الرافدين وحضارة إيران قديما، ع55، د ب،2016
7. فراس السواح كنوز، الأعماق قراءة في ملحمة جلجامش، العربي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1987
8. قيس حاتم هاني الجنابي، تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2014.

9. رمضان عبدو علي، حضارة مصر القديمة منذ أقدم العصور حتى نهاية عصر الأسرات الوطنية، وزارة الثقافة للمجلس الأعلى للآثار، (د.ب)، ج 2، 2004.
10. سيد القمني، رب الثورة أوزيريس وعقيدة الخلود في مصر القديمة، مؤسسة هنداوي، (ب د)،2020.
11. سيد عويس، الخلود في التراث الثقافي المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999.
12. سامي سعيد الأحمد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت،2013.
13. طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة حضارة وادي النيل وبعض القديمة، الفرات للنشر والتوزيع، (ب.ت).
14. عباس فاضل السعدي، العراق وبلاد الرافدين السكان الأوائل دراسة في التاريخ والجغرافيا، (ب ن)، (ب ت).
15. عبد القادر بوحوش، تاريخ الأديان، دار الضياء للنشر والتوزيع، الكويت، ط1،2014.
16. عبد القادر عياش، حضارة وادي الفرات مدن فراتية القسم السوري، الأهالي للطباعة والنشر،1989.
17. قاسم الشواف، ديوان الاساطير سومر أكاد آشور الموت والبعث والحياة الابدية، الكتاب الرابع، دار الساقي، ط1 ،2021.
18. متري ميكس، كرستين ففار، الحياة اليومية للآلهة الفرعونية، تر فاطمة عبد الله محمود، مر محمود ماهر طه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000.
19. ناجح المعموري، المسكوت عنه في ملحمة جلجامش، دار المدى للإعلام والثقافة، بغداد، ط1،2014
20. ياروسلاف تشربي، الديانة المصرية القديمة، تر أحمد قدري، مر محمود ماهر طه، دار الشروق، القاهرة، ط1،1996.
21. يان أسمان، الموت والعالم الآخر في مصر القديمة، تر محمود محمد القاسم، مر هليل غالي، (دن)، (دت)، ج1، مج1، دار الفكر العربي، (د ب)

❖ **المجلات :**

1 أحمد ماجد، الموت في الحضارات القديمة، مجلة المحجة، ع 17، فيفري، 2021.

2 حمدية كاظم روضـــان، جدلية الموت والحياة في فنون الحضـــارات القديمة، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، ع18،2016

3 شريف صيفي، التراث الجنائزي لمصر القديمة، جريدة الشرق الأوسط،2020.

4 ليلي بومريش، الشعائر الجنائزية في بلاد الرافدين، مجلّة قبَس للدراسات الإنسانية والإجتماعية، مج 4، ع 1،جامعة الجزائر2.

5 محمود مرســي محمد جارحي، مراحل تطور شــكل المقبرة الملكية في مصــر القديمة من الدولة القديمة إلى عصر الملك تحتمس الأول للدولة الحديثة، مجلة العمارة والفنون، (د ت).

6 نعامنة محمود محمد، من إينوما إيليش إلى ملحمة جلجامش (أساطير من بلاد الرافدين السومرية والبابلية تفاصيل جديدة أهملها الميثولوجيون)، مجلة المجمع، ع8، 2014.

7 Jan assmann , la notion d'éternité dans l'Egypte ancienne, université de Heidelberg, jeneve,2003

❖ **المذكرات والمحاضرات :**

1. بنين مازن مهدي، آلهة مصر القديمة حتى نهاية الأسرة الثامنة عشر، بحث كجزء من متطلبات نيل شهادة البكالوريوس في التاريخ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بابل، 2022.

2. حنان بوذينة، الشخصية في ملحمة جلجامش"مقاربة سيميائية"، مذكرة مكملة لنيل شهادة الليسانس، كلية الآداب واللغات، جامعة البويرة،2022

3. حنيش جمعة، قادري زهرة، التحنيط في مصر الفرعونية، مذكرة مكملة لمتطلبات الحصول على شهادة الماستر في تاريخ الحضارات القديمة،كلية العلوم الإجتماعية والانسانية ،جامعة الوادي ،2018.

4. كاهينة قبايلي، محاضرات في تاريخ الحضارات القديمة، المدرسة العليا للأساتذة قسم التاريخ والجغرافيا، بوزريعة . (د ت).

❖ **الموسوعات:**

1. علاء الدين عبد المحسن وآخرون، الموسوعة الثقافة و التاريخية والأثرية والحضارية "الحضارة المصرية القديمة، دار الفكر العربي، (ب.ب)، مج1، (د ت).

فهرس المحتويات

جدول المحتويات

مقدّمة ________ *أ*

الفصل التمهيدي: ________ *السياق التاريخي للعالم الآخر في مصر القديمة وبلاد الرافدين* ________

المبحث الأول:جدلية الموت والحياة لدى الإنسان قديما ________ 2

المبحث الثاني: الاطار التاريخي والجغرافي لمصر القديمة: ________ 5

المبحث الثالث:االاطار التاريخي والجغرافي لبلاد الرافدين: ________ 8

الفصل الأول ________ *العالم الآخر في ثقافة مجتمع مصر القديمة* ________

المبحث الأول:مفهوم العالم الأخر في ثقافة مجتمع مصر القديمة ________ 13

المبحث الثاني:مقومات العالم الأخر في ثقافة مجتمع مصر القديمة ________ 24

المبحث الثالث:التحنيط و مراحله: ________ 28

المبحث الرابع:أهم النصوص والكتب التي تتكلم عن العالم الآخر في مصر القديمة ________ 36

الفصل الثاني ________ *العالم الآخر في ثقافة مجتمع بلاد الرافدين* ________

المبحث الأول:مفهوم العالم الآخــر في ثقافة مجتمع بلاد الرافدين: ________ 42

المبحث الثاني:مقومات العالم الآخر في ثقافة مجتمع بلاد الرافدين: ________ 47

المبحث الثالث:أهم النصوص الدينية التي تكلّمت عن العالم الآخر في بلاد الرافدين: ________ 55

المبحث الرابع: أثــر العالم الآخــر في ثقافة مجتمع بلاد الرافدين : ________ 58

الفصل الثالث ________ *الدراسة المقارنة للعالم الآخر في ثقافة مجتمعي مصر القديمة وبلاد الرافدين* ________

(من خلال النصوص،كتاب الموتى وملحمة جلجامس) ________ *59*

المبحث الأول:أوجه التشابه ________ 60

المبحث الثاني:أوجه الاختلاف ________ 65

المبحث الثالث : العناصر المتداخلة: ________ 70

خاتمة ________ *74*

قائمة الملاحق ________ 76

قائمة المصادر والمراجع ________ *88*